العروبة والإسلام فى مدائن الفجر للدكتور صابر عبدالدايم

دراسة تحليلية ناقدة

تأليف

دكتور / بدر الدين سليمان أحمد محمد

مدرس الأدب والنقد ـــ بجامعة الأزهر

العروبة والإسلام فى مدائن الفجر
للدكتور صابر عبدالدايم
دراسة تحليلية ناقدة

تأليف دكتور
بدر الدين سليمان أحمد محمد
مدرس الأدب والنقد ـ بجامعة الأزهر

المقدمة

الحمد

لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف المرسلين سيدنا محمد النبي الأمين الذي رفع الله به منار العلم والدين ،أفصح العرب لسانا وأعلاهم بيانا وعلى آله و أصحابه الغر الميامين ومن تبعه بإحسان إلى يوم الدين .

وبعد

فهذه دراسة تحليلية ناقدة لديوان مدائن الفجر لشاعرنا الدكتور صابر عبد الدايم يونس ، أردت من خلالها أن أثبت أن الدكتور صابر ابن بار من أبناء الإسلام وأبناء عصره ومصره ، فإذا كان الشعراء في القديم والحديث قد صاروا ذوى ألقاب ، فإن الدكتور صابر حقيق بان يكون له لقبه ومن خلال هذه الدراسة أثبت أنه يستحق أجل الألقاب وهو شاعر العروبة والإسلام .

وهذه الدراسة قسمتها إلى مقدمة وتمهيد وخمسة مباحث :

وفى المقدمة: قمت بعرض موجز لما حواه البحث.

وفى التمهيد: تناولت فيه سبب اختيارى لهذا البحث وتحدثت فيه عن الشاعر تجربة وفناً.

المبحث الأول : وقد تناولت فيه الشاعر ، حياته ، روافد شعره ، آثاره الشعرية .

وقسمت الروافد إلى :

الرافد الأول : ويتمثل فى البيئة التى عاش فى أحضانها وتغذى من ينبوعها، ونما وترعرع على أرضها ، وتعلم أصولها ، وفطم على عرفها الأصيل الذى صاحبه ونما معه.

الرافد الثانى : وقد تمثل فى ثقافته : حيث أن ثقافة الشاعر تعمل على إثراء قاموسه الشعرى والفنى ، وكذلك تعمل على توجيه فكره ، كما تعمل على توثيق لغته ، وتعميق مضامينه واعتدال اسلوبه ، وأعظم موجه لفكر شاعرنا (القرآن الكريم) فقد وفق الله والده بأن وجهه إلى حفظ القرآن الكريم منذ نعومة أظفاره مما كان له أكبر الأثر فى توجيه الشاعر الوجهة الدينية .

الرافد الثالث : ويتمثل ذلك الرافد فى ثقافته العربية وتتلمذه على موائد الشعر قديمه وحديثه وعلوم العربية جميعها، من نحو ، صرف ،أوزان عروضية ، فلقد كان لها أكبر الأثر فى تفتق شاعريته وصقل موهبته.

آثاره الشعرية :

الشاعر صاحب موهبة صاحبته منذ عهده الأول بالأزهر الشريف ، وظلت تنمو معه وتزهو وتزدهر كلما تقدم به العمر ، فكان له النتاج الخاص الذى استحق به المناصب الأولى على مستوى الجمهورية ، وأن يشارك من خلاله فى الندوات الأدبية داخل القطر وخارجه ، وكذلك نتاجه النقدى والتحليلى من خلال ما قام به من أعمال أكاديمية فى رحاب الجامعة .

المبحث الثانى: وقد تحدثت فيه عن أغراضه الشعرية وكيف أنه تناول جميع أغراض الشعر العربية من مدح ، ووصف ، وهجاء ، وشعر تعليمى ، وشعر توجيهى ، وكذلك الشعر الاجتماعى ، والمناسبات إلى أخر ذلك مما طرقه الشاعر بحق فكان فارساً فى كل ميدان صال فيه أوجال

المبحث الثالث : وقد تناولت فيه قصائد العروبة في ديوان مدائن الفجر وقد وقع اختيارى على ثلاث قصائد فقمت بتحليلها والتعليق عليها مبرزاً ما فيها من عاطفة وخيال وصور مبتكرة إلى جوار ما فيها من رمز وايحاء واستقامة عمود الشعر فيها من خلال الوزن والقافية والقصائد الثلاث هى:

١- مدائن الفجر. ٢- غابة النار.

٣- السفينة والطوفان.

المبحث الرابع : تناولت فيه أعظم قصائد الإسلام في هذا الديوان .

ومن هنا ، فالشاعر إن آلمه حال أمته العربية وجدناه أكثر إيلاماً واهتماما بحال أمته الاسلامية فهى القومية الأعظم والأجدر بأن تصان وقد تناولت فى هذا المبحث قصائد ثلاث قمت بتحليلها وبيان مالها وما عليها وهذه القصائد هى :

١ - نقوش على جدران المسجد الأقصى.

٢- والإسلاماه.

٣- أعراس الشفق .

واقتصرت فى الدراسة على شعر العروبة والإسلام فى هذا الديوان ثم أردفت ذلك بمبحث خامس وهو المبحث الفنى

المبحث الخامس: تناولت فيه بشيء من التفصيل : الصورة الشعرية، والأسلوب ، والموسيقى الشعرية .

وبعد

فإن كنت قد وفقت فيما قمت به من عمل فمرد هذا إلى الله وإن كانت الأخري فمن عند نفسي ، والله أسأل أن يجعل هذا العمل في ميزان حسناتنا وأن يكون لبنة صالحة في صرح اللغة العربية الشامخ وعاء قرآننا وفخر أمتنا والحمد لله رب العالمين

دكتور/ بدر الدين سليمان
غرة رمضان ١٤٢٩هـ

التمهيد

لقد جرت العادة فى كتابة البحوث والمقالات أن تصدر هذه المقالات والبحوث بدراسة تاريخية عن العصر الذى نشأ فيه الشاعر الذى تجرى عليه الدراسة ، ولكنى قد رسمت لنفسى منهجا حيال (مدائن الفجر) ووجدت أن الأجدر أن أقصر دراستى على العروبة والإسلام فى هذا الديوان الأغر الذى أخذ بمجامع قلبى ولم يكن نحود فقط بل نحو الشعر المعاصر الذى كان منى بعض العداء له حتى أننى لم أكلف نفسى أن أقرأ لأحد الشعراء المعاصرين لما رأيت من بعضهم على شاشات التليفزيون من سخف وادعاء للشاعرية فكنت أطلق عليهم المتشاعرين ، وأوقفت نفسى على قراءة الأدب القديم لا لأنه قديم بل لثرائه وما فيه من حكمة بالغة وأسلوب عال ورفيع ومضامين هادفه إلى جانب ما فيه من روعة الموسيقى وجمال الصورة.

إلى أن أهدى لى أستاذى العزيز الدكتور/ صابر عبدالدايم بعض دواوينه فأخذتها منه والله يشهد على ذلك لأضعها على أرفف مكتبى وفقط وذات يوم راودتنى نفسى أن أقلب صفحات أحد دواوينه وهو (المسافر فى سنبلات الزمن) وإذ بى أجد فى مقدمته قصيدة وإن كانت من قصائد شعر التفعيلة التى كنت أرفضها تماما.

بل أصفها وأصف أصحابها بأنهم (معاول الهدم لصرح اللغة العربية الشامخ) الذى أحبه وأعشقه وأجاهد دونه بالنفس والنفيس وكانت هذه القصيدة بمثابة الشرارة الأولى التى أعقبها توهج نفسى وإثارة لعقلى حتى أتقضى على الديوان لأجد ما فيه من أعمال صادقة معبرة لا أقول عن نفس صاحبها بل عن آلام أمته.

.. والقصيدة الأولى كانت بعنوان (الهوية) يقول فيها :-

اسمى : صابر

بلدى : مصر – القرية – والموال الساخر

عمرى : سنوات الصبَّار جهلت بدايتها

أو حتى كيف تسافر

والمهنة : شاعر

وهواياتى فك الأحجبة وهدم الأسوار .

والبحث عن الخصب المتوارى خلف الأمطار .

والتنقيب بصحراء النفس عن الآبار .

وقراءة ما خلف الأعين من أسرار .

* * * * * * * * * * * * * * *

وهذه القصيدة كما يقول عنها أحد الباحثين[1] :

(ففى أبياتها خلاصة التجربة التى مرَّ بها الشاعر وجيله من مرارة ومعاناة ومواجهة للمجهول والبحث عن النافع المفيد وقد اتخذ الشاعر من اسمه رمزا يبرز التكوين العام للهوية الحضارية للأمة)[2] ثم يواصل الباحث رؤيته لما فى القصيدة من ألفاظ رامزة لمضامين عامه فيقول معلقا :-

(ولا تخفى دلالة الصبر ومجانسته مع الصبار الذى هو رمز المرارة والمعاناة ، وإمتداد الزمن الماضى إلى المستقبل دون تحديد بداية أو نهاية (سنوات الصبار) لقد جعل نفسه رمزاً للوطن الذى عاش مرارة الصبر ومعاناة الصبار فى آن واحد منذ زمن بعيد ، يأتى بعدئذ تعريف الشاعر ببلدته , ومهنته , وهواياته متسقاً مع تعريفه باسمه وعمره بل إفرازاً طبيعياً لهما والهواية أو الهوايات هنا

---

(١) الورد الهالوك – د.حلمى محمد القاعود صـ١٠٥-١٠٦ .

(٢) الورد الهالوك د.حلمى محمد القاعود صـ١٠٥-١٠٦ .

معادل لرسالة الشاعر تجاه بلده وأمته , وهذا المفتاح يكشف لنا أن الشاعر على اتصال مع واقع الأمه أكثر من أي شئ أخر بل أكثر من قضاياه الخاصة والذاتية وأن رؤيته تدور في فلك الهم العام مع تعدد ملامحه وجوانبه ولعل هذا المفتاح يقودنا إلى ما يركز عليه الشاعر في رؤيته) [1] وإذا كان هذا هو رأي الباحث من خلال الافتتاحية فأنا أرى أن الشاعر في جميع الأحوال ما هو إلا راصد لهموم الأمة بأثرها متفاعلا معها منصهرا بلظى نارها ولم تنحصر رؤيته في أمتنا العربية ، فقط بل تعداها بان كان يستعر بنيران هموم الأمة الإسلامية على اختلاف أجناسها ولغاتها وقومياتها ولذلك إذا أردنا أن نرصد العروبة والإسلام في شعر د/ صابر عبد الدايم.جميعه لطال بنا المقام ومن هنا فقد عقدت العزم على رصد هذه الظاهرة في أحد دواوينه وهو (مدائن الفجر) وعلى الله قصد السبيل

(١) نفسه صـ١٠٦ .

المبحث الأول

الشاعر الدكتور/ صابر عبدالدايم ملء السمع والبصر لما لـه من ثقافة متعددة ، ومتنوعة فهو الشاعر المبدع الأزهرى المتدين ، والناقد الفذ صاحب الدواوين الشعرية التى تنبىء عن كل هذا وهو من علماء الأزهر المبرزين الذين يشار إليهم بالبنان صاحب الصالونات الأدبية ، وتاج المجالس العلمية ، وفارس المنابر ، وحلية الندوات النقدية فهو من غير ريب شاعر العلماء ، وعالم الشعر ، وصاحب التواضع الجم والقلب الرحيم والكف الكريم يفيض على طلابه من زاخر علمه وفيض أدبه ، وكرم أخلاقه كيف لا وهو الريفى الأزهرى الشاعر

المولد والنشأة :-

لقد ولد الشاعر الدكتور صابر عبد الدايم في ١٥ مارس ١٩٤٨م .

في إحدي قري مركز ديرب نجم من محافظة الشرقية وهي قرية العطارين وهي قرية صغيرة تبعد عن المدينة عدة كيلوات، وآثرت أن أحدد حجم القرية حتي أنبه أنها كانت قرية خالية من الخدمات لا تعين على الوصول إلى مثل ما وصل إليه من شاعرية ومناصب أكاديمية حيث يتقلب في المناصب التي تهفو إليها أفئدة الكثيرين ، أضف إلى ذلك ما كان يعيش فيه أهل هذه القرية من شظف في العيش ، وفقر مدقع في جميع مناحي الحياة كل هذه الأشياء آثرت أن أشير إليها حتى يتثنى لي القول أن الشاعر الدكتور/ صابر عبد الدايم نشأ كزهرة في تربة ليس من شأنها أن تنبت الزهر ومن هنا فان تفوقه في شاعريته وأستاذيته يعد تفوقاً فوق التفوق، وهذا التفوق يسبقه استعداد فطري وموهبة أصيلة ، هذا الاستعداد وهذه الموهبة لابد لهما من روافد تعمل على تنميتها وتأصيلها لدى

المبدع وهذه الروافد تتمثل في – المنشأ والبيئة ، ونـــوع الثقافـــة ، وطبيعة المبدع وسلوكه:-

روافد شاعريته :-

الرافد الأول :- البيئة

إذا أردنا أن نتعرف على الشاعر معرفة دقيقة تأخذ بأيدينا إلى أصوب الطرق للحكم له أو عليه فلا بد لنا أن نتعرف على المنشـــأ والبيئة التي نشأ ونما فيها وترعرع بها وتغذى من ينبوعها وتعلـــم أصولها وفطم على عرفها الأصيل الذي يصاحبه وينمو معه فلقد نشأ الدكتور / صابر عبد الدايم في الريف المصري وما أدراك ما الريـــف المصري حيث الهواء العليل ، والماء العذب السلسبيل ، والخضـــرة التي نمت وترعرعت بماء النيل هذا بالنسبة لريف مصر ولكن لريف الشرقية منشأ الشاعر سحر خاص ، وأخص منه أنه نشأ في قريـــة من الجزء المعمور فيها فهو كما يقول : أحد الباحثين (خصب ممرع النماء والخضرة تتخلله القنوات ، والجداول ، تكسوه حلة خضراء مزدانة بكثير من المناظر الطبيعية الخلابة ، ويضاعف من جمال هذه البيئة جو معتدل على امتداد شهور العام ونادرا مـــا تعكـــر صـــفوه الغيوم والأنواء)[1].

هذه هي طبيعة المنشأ وان كان لي رأى أخـــر مخـــالف لمـــن تحدثوا وكتبوا عن شاعرية الدكتور / صابر عبد الدايم وهو:- أن هذه البيئة لا تخلق شاعرا وإلا لو كان الأمر كذلك لصار كل أبنائها شعراء وأنىَّ لهم ذلك إذن البيئة الساحرة تعمل على صبغ وتشـــكيل رؤيـــة الشاعر بصبغتها هي ، ولكن لا تخلق فيه الشاعرية ولو أن كل بيئة تكسوها الخضرة وتحفها الأنهار ، واعتدل جوها هي بيئـــة شـــعراء

(١) مجلة كلية اللغة العربية بالزقازيق العدد العاشر سنة ١٤١٠هـ ، ١٩٩٠م صـــ٤٢٤ .

فأين نحن من فحول شعراء العرب من أمثال امرئ القيس ، وزهير، والشنفري ، وعروة بن الورد ، والخنساء ، وكعب بن زهير ، وحسان ابن ثابت ، فقد نشأوا وتربوا وفتقت قرائحهم في بيئة صحراوية قاحلة لا جداول فيها ولا أنهار ولا خضرة ولا أزهار وما أبعد جوهم عن الاعتدال ومع ذلك فقد ملأوا الدنيا شعرا ولا زلنا على شعرهم عيال .

إذن بيئة الدكتور / صابر عبد الدايم لم تخلق منه شاعرا كما أن الطيلسان لا يخلق محاميا ، وإنما الشاعر وهبه الله ملكته .

وانتدبته من بين أقرانه ملكة الشعر فنظر إلى الطبيعة والبيئة نظرة شاعرية مما أضفي عليها جمالا يضاف إلى جمالها ، ولو أنه وصفها كما هي لأصبح جغرافيا لا شاعرا فها هو جمال حمدان في كتابه (شخصية مصر) قد وصفها فأبدع الوصف ومع ذلك لم يقل أحد عنه أنه شاعر .

****

الرافد الثاني :ـ ثقافته

الثقافة تعمل على توجيه وتلوين الشاعر كما تعمل على إثراء معجمه الشعري والفني ، فهي تعمل على توجيه فكره كما تعمل على توثيق لغته وتعميق مضامينه واعتدال أسلوبه ، فلقد وفق الله والده بأن وجهه إلى حفظ القرآن الكريم منذ نعومة أظفاره مما كان له أكبر الأثر في توجيه الشاعر الوجهة الدينية منذ ذلك الوقت ، فالقرآن الكريم دستور وعقيدة ومنهج حياة ، فقد تفتحت عليه عينه ، ونما وعاش في ربوع حكمه وأشرب بديع نسقه ، وتتلمذ على متين صنعه ، وكان له أثره في تفجير ينابيع شعره ، وتفتق براعم عبقريته ، فترنم به لسانه ، وانتشي به وجدانه وفاضت به قريحته ،

وجاشت به عاطفته فتناثرت في شعره درره وتكاثرت جواهره ولآلئه)[1].

ومن هنا جاءت آياته وكلماته في سياق شعره تناسب حكمته ودلالته على الموقف الذي يتحدث فيه فمثلا في قصيدته (أبا الزهراء) نجده يقول :

من الأحجار قد صنعوا إلها ∴ وهذا لا يفيد ولا يضر
وران على عقولهم ظلام ∴ فعاشوا بينهم والحق ستر
لقد لبسوا ثياب الجهل حتي ∴ غدوا عميا وفي الأذان وقر

ولم يكتف الشاعر بأن يدلل بالقرآن على موقفه الشعري بل ربما راح يصوغ القصص القرأني في ثوب شعري ، وان دل هذا على شئ فإنما يدل على ارتباطه الوثيق بالقرآن وما فيه من عظات وعبر تدل على قدرة الله اللامحدوده بزمان أو مكان خذ مثلا قصيدته اشراقات من سفر التكوين والنبوءة إذ يقول :-

والنار تنادي أخلع نعليك
إنك في أقدس وادي
وأفتح عينك
واشهد في أعماقي خضرة أعوادى
يتلاشي (موسي) في الكل ويرحل في عين الاشياء
هذي يده السوداء
في لحظة عشق خارج دائرة الزمان المحدود
صارت من غير أذي بيضاء
وعصاه الصماء البكماء
تتلوي .. تتمدد .. تبتلع غرور الطين
وفرعون بجذع النخلة يصلب كل الشرفاء
قالوا (لن نؤثرك على ماجاء)

* * * * * * * * * * * * * * * *

(١) مجلة كلية اللغة العربية صـ ٢٢٤ .

فالقارئ لشعر د/ صابر عبد الدايم يجد أن الروح الدينية تسيطر عليه وتقوده لأشرف المعاني وأسمى الألفاظ فالشاعر في أغلب شعرة ينطلق من روح إيمانية يحدوها الأمل إلى فجر مشرق بسام تعلو مآذنه ويرتفع صوت القرآن فيه على كل الأصوات وتصير مناهجه سلوك حياة

إنظر اليه في قصيدته والتى بعنوان (حواء) والتى يعود فيها إلى الزمن الأغر طالبا من (حواء العصر) أن تتمثل سيرة أمهات المؤمنين في الطهر والعفاف والمظهر والمخبر والملبس والفكر ، أنظر اليه في هذا التوجيه الذى بلغ الحد الفني والذى يدل على تمكن الروح الدينية في نفس شاعرنا .

حواء صوني حسنك الموهوبا ∴ ودعي الجمال الزائف المكذوبا
حواء عودي للعفاف فقد غدا ∴ فيك الجمال مزيفا مكذوبا
أظننت أن الحسن كشف مفاتن ∴ يغري نفوسا سحرها وقلوبا
وتمايل الأرداف تحت خميلة ∴ قد زانها خد تضوع طيبا
حتي غدوت مع السفور كدمية ∴ وظننت أن الكشف ليس معيبا
لا....لا فإن الحسن حسن شمائل ∴ وتعفف عما يكون مريبا
الغرب قد قلدته أفعاله ∴ حتي غدا فيك الحياء غريبا
ووراء كل مبادئ غريبة ∴ خلنا عليك تلهفا ووثوبا
ورميت كل فضيلة شرقية ∴ ولويت عنقك للهدي تكذيبا
وأبنت للشرق الشريف عداوة ∴ والغرب في عينيك عاد حبيبا
فكأن هذا الغرب صار إمامنا ∴ والكل عند الأمر صار مجيبا
بكت الفضيلة من فعال نسائنا ∴ حتي ظننا الفضل عاد غريبا
حواء قد عدت السقيمة فاقصدي ∴ مهدي الهداية إن أردت طيبا
هذي (خديجة) ما ثيابا قصرت ∴ كلا ولا فهما رأى تخضيبا
ما زانها فرع طويل فاحم ∴ بل زانها خلق تضوع طيبا
ملكت على خير البرية قلبه ∴ بوفائها السامي فدام حبيبا
هذا جمال الروح يا أختاه قد ∴ رزق الخلود ولم يكن مكذوبا[1]

* * * * * * * * * * * * * * *

(١) نبضات قلبين صـ٦٨-٧٠ .

..الرافد الثالث

ومن الروافد التي عملت على إثراء ملكة الشعر وتفتقها عند الشاعر ثقافته العربية وتتلمذه على موائد الشعر قديمه وحديثه، وعلوم العربية جميعها من نحو وصرف وأوزان عروضية إضافة إلى علم القافية لذلك وجدنا أحد الباحثين يقول : عن الدكتور / صابر عبدالدايم وشعره (لقد كان للثقافة العربية الأصيلة الضاربة بجذورها في أعماق تراثنا العربي والتى غذي بها شاعرنا منذ نعومة أظفاره – في أروقة الأزهر الشريف في تفتق شاعريته وصقل موهبته ، ونمو ملكته وارتقاء لغته وسلامة أسلوبه ، وصحة عبارته ، فقد مكنته دراسته في الأزهر من إتقان العلوم اللسانية ، والأوزان العروضية ، والاطلاع علي الآداب العربية في أمهات الكتب والدواوين الشعرية ، وحفظ الكثير من شعرها ونثرها ، فاستقام بذلك لسانه ، ونصع بيانه وسلمت أوزانه ، وحسنت صياغته ، وأشرقت ديباجته فاستحق أن يكون شاعر المعهد الازهري وخطيبه الذي لا يباري .. ومن بعد شاعر الجامعة الواعد الصاعد في سماء الشعر وآفاق البيان ويواصل الباحث ليسوق الأدلة على ما سلف ذكره فيقول : (وديوان شاعرنا صابر) (نبضات قلبين) الذى صدر في عام ١٩٦٩م والذى جمع شعر الشاعر وهو فى باكورة شبابه خير شاهد على صدق ما قلناه وهو فى هذا الديوان شاعر عمودي يمتاز بقوة الألفاظ ورصانتها ومتانتها ورقتها ورشاقتها وتبعا لمعارض الكلام وخلوها من الالفاظ الحوشية والضعف والركاكة والإسفاف ، والغرابة والتكلف فضلا عن شرف المعني وصحتة ، وبراعة الخيال وقوته ، وهذا يدل على أن التراث الشعري العربي كان الينبوع الثر الذي نهل من معينه الشاعر وعب من عيونه، وارتشف من رحيقه ، فتداعت إليه الألفاظ والأساليب ، والصور بتداعى خواطره ومعانيه ، فلم يجد مشقة في

اختيار الألفاظ ولم يجهد ذهنه في انتقاء الصور ، وبالتالي سلم شعره من اضطراب الألفاظ ، وتنافر الحروف ، وغموض المعني ، وسُقم الخيال و استطاع بذكائه الملهم وشاعريته الدافقة ان يستخلص أحسن ما في التراث من ألفاظ ، وأجمل ما فيه من معني وأن يطوع ألفاظه وأساليبه للتعبير عن قضايا مجتمعه ووطنه وأمته ، ومشاعره، وإحساساته وتجاربه في الحياة)[1]

ومن هنا فقد حق لنا أن نقرر مع من قرر أن الشاعر الدكتور / صابر عبد الدايم قد امتلك أدواته الفنية التي أهلته لأن يكون أبنا شرعيا لعصره ، وعنصرا فعالا يعبر تعبيرا جيدا عن هموم أمته ووطنه .

(١) أبعاد التجربة الشعرية فى شعر د. صابر عبدالدايم – د. صادق على حبيب صـ٢٣-٢٤ .

آثاره الشعرية ونتاجه النقدى والأدبى

الدكتور/ صابر عبد الدايم صاحب موهبة صاحبته منذ عهده الأول بالأزهر الشريف وظلت تنمو وتزدهر وتزهو كلما تقدم به العمر فكان له النتاج الخاص به والذي استحق به المناصب الأولى على مستوي الجمهورية ، وأن يشهد من خلاله الندوات الأدبيه داخل القطر وخارجه ونتاجه الشعري يعد لبنة في صرح العربية الشامخ وهو ليس دفقات شعورية منقطعه عن بيئته وأحداث عصره بل هو بمثابة المرآة العاكسة التي تصور ما يطرأ أو يجد على الساحة العربية والاسلامية من ظروف وملابسات .

ودواوينه على النحو التالي :-

١- ديوان نبضات قلبين بالاشتراك مع عبد العزيز عبد الدايم عام ١٩٦٩م مطبعة الموسكي بالقاهرة .

٢- ديوان المسافر في سنبلات الزمن عام ١٩٨٢ م مطبعة الأمانة بالقاهره .

٣- ديوان الحلم والسفر والتحول عام ١٩٨٣ م وزارة الثقافة بمصر .

٤- ديوان المرايا وزهرة النار عام ١٩٨٨م الهيئة العامة للكتاب بالقاهرة .

٥- ديوان العاشق والنهر عام ١٩٩٤م الهيئة العامة للكتاب بالقاهرة .

٦- ديوان مدائن الفجر عام ١٩٩٤م رابطة الأدب الاسلامي العالمية .

٧- مسرحية شعرية بعنوان (النبوءة) مخطوطة .

٨- ديوان العمر والريح طبعة ٢٠٠٧م بالهيئة العامة للكتاب .

٩- القبو الزجاجي قصيدة ملحمية (رسالة الى محمد الفاتح) سلسلة أصوات معاصرة.

ثانيا : نتاجه النقدى والأدبي :

١- مقالات وبحوث في الأدب العربي المعاصر – دار المعارف القاهرة عام ١٩٨٣م .

٢- محمود حسن إسماعيل بين الأصالة والمعاصرة ، دار المعارف القاهرة عام ١٩٨٤م .

٣- الأدب الصوفي اتجاهاته وخصائصه ، دار المعارف القاهرة عام ١٩٨٤م .

٤- فن كتابة البحث الأدبي والمقال ، مطبعة الامانة بالقاهرة عام ١٩٨٤م.

٥- من القيم الإسلامية في الأدب العربي ، مطابع جامعة الزقازيق عام ١٩٨٨م.

٦- التجربة الابداعية في ضوء النقد الحديث ، مكتبة الخانجي القاهرة ١٩٨٩م .

٧- الأدب الإسلامي بين النظرية والتطبيق ، درا الارقام بالزقازيق عام ١٩٩٠م ونشر دار الشروق بالقاهرة عام ٢٠٠٣م.

٨- الأدب المقارن (بين التراث والمعاصرة ٢٠٠٣م).

٩- موسيقي الشعر العربي بين الثبات والتطور ، مطبعة الخانجي بالقاهرة ١٩٩٤م.

١٠-أدب المهجر – دار المعارف بالقاهرة عام ١٩٩٣م .

١١-الحديث النبوي رؤية فنيه جماليه – دار الوفاء بالاسكندرية عام ١٩٩٩م.

١٢-شعراء وتجارب (نحو منهج تكاملي في النقد التطبيقي) دار الوفاء بالاسكندرية عام ٢٠٠٠م .

١٣-هاشم الرفاعي (الكوكب الآفل) الهيئة العامة لقصور الثقافه تحت الطبع .

١٣-تاج المدائح النبوية (قصيدة البردة) لكعب بن زهير ، رؤية نقدية معاصرة ، دار هديل للنشر والتوزيع بالزقازيق عام ١٩٩٤م .

١٤-ديوان الشعراوى جمع وتحقيق ودراسة ـ الهيئة العامة للكتاب ٢٠٠٩م.

١٥ – جماليات النص الأدبى فى ضوء القيم الإسلامية . مكتبة الرشد بالرياض سنة ٢٠٠٧م.

١٦ – مناهج البحث الأدبى بين القدامى والمحدثين . دار النشر الدولى بالرياض سنة ٢٠٠٨م.

ما كتب عنه : ـ

١- أبعاد التجربة الشعرية في الشعر د/ صابر عبد الدايم ١٩٩٢م د/ صادق على حبيب .

٢- مبحثان في كتاب (القران ونظرية الفن) للدكتور حسين على محمد مطبعة حسان ١٩٩٢م .

٣- رسالة ماجستير في شعر الدكتور صابر قدمت لكلية اللغة العربية بالمنصورة للباحث / بيومي محمد عوض .

٤ بعض المباحث في عدة كتب للدكتور / أحمد زلط.

٥- بعض الدراسات النقدية في مجلات كلية اللغة العربية بالزقازيق والمنوفية ودمنهور ، وفي مجلة الشعر بالقاهرة وجريدة (المسلمون الدولية)

٦- كتبت عنه وعن أشعاره كثير من المباحث والدراسات النقدية في عدة كتب أدبية معاصرة بأقلام كثير من الأساتذة والأدباء والنقاد .

المبحث الثانى

أغراضه الشعرية : ـ

قلنا فيما مضي إن الشاعر د/ صابر عبد الدايم ابن شرعي لعصره حيث عبر عنه وعن كل مايدور حوله مستدعيا الماضي في أجمل صوره معبرا عنه بلفظ ومضمون عصريين مما جعله شاعر العروبة بحق والشاعر تناول الاغراض الشعرية في شعره فتجده : ـ

مادحا – غزلاً – راثيا – هاجيا – وإن جاء الهجاء عنده في ثنايا قصائده مما سنعرض له في ثنايا بحثنا.

وكذلك نجده وطنيا – اجتماعيا – وجدانيا . وهذه الأغراض مرتبطة وجدانيا بدائرة العروبة والإسلام.

أولا) المديح عند د/ صابر عبد الدايم :

لقد كان الشاعر الدكتور / صابر عبد الدايم عريق الثقافة واسع الإطلاع فهو عالم باحث متمكن درس التراث الأدبي دراسة الناقد البصير ورأي فيه مهوى فؤاده ومثار إعجابه ، فأيقن أن احتذاءد لهذا التراث ما هو إلا مد متصل لتيار الأصالة الذى يجب أن يفيض ويزخر ما بقيت العربية تردد على الأفواد ، وإذا كان أصحاب المواهب من الشعراء قد أجادوا المديح فشأن الدكتور صابر شأنهم فلم يكن بدعاً أن نراه مادحا وان كان مدحه قد حدد له الشاعر رسالة واضحة فمدائحه لم تَعُدْ عليه بنفع مادي أو أدبي فنفسه الكريمة الأبية دفعته إلى تقدير عارفيه وقد جعل من المدح باب الفضائل ومعراج الممدوح إلى أشرف المثل وقد عرف الشاعر رسالة المدح في التوجيه الهادف وفي بعث الهمم واستنهاض العزائم فجاءت قصائده ذات معان جهيرة يضيئها التصوير البارع ، ويجلوها البيان المشرق وهي بعد وليدة إحساس ناقد ونظر غائص ، ومما يحسب له أنه في مدائحه لم يتنقل من غرض الى غرض كما فعل سابقوه. وإنما كانت قصيدته ذات موضوع واحد تجمعها وحدد موضوعيه كما حافظ

على الإطار الشعري فجري ماؤه صافيا في نهر تحده الشواطئ وتحرسه الضفاف ، ورسالة الشاعر في المدح واضحه حيث أن مدحه لايعرف التملق الرخيص أو النفاق الزهيد كذلك خلا من التكلف والإسفاف ولم يفعل مثل غيره من الجري وراء المال أو يمدح طالبا للنوال .

فنجده يوضح رسالته قائلا : -

وقفت بساحة العباد أشدو ∴ وحولى الطهر غرد والوفاء
وما من أجل أغراض مديحي ∴ فما دام النفاق ولا الرياء
وإن بان التصنع في كلامي ∴ فان القلب ما فيه افتراء

* * * * * * * * * * * * * * *

والشاعر بذلك يذكرنا بالشاعر العظيم شاعر العروبة الشيخ على الجارم إذ يوضح رسالة المدح عنده بقوله : -

قد حسبنا المديح عن كل مستام ∴ وأجدر بشعرنا ان يصانا
لا تزين العقود جيدا اذ لم ∴ يك بالحسن قبلها مزدانا
رب درٍ لاقي من الصدر درأ ∴ وجمان في النحر لاقي جمانا
لو مدحنا من لا يحق له المدح ∴ لوى الشعر رأسه فهجانا
الرسول الكريم أنطق حسانا ∴ ولولاه لم يكن حسانا
وابن حمدان لقن المتنبي ∴ غرر المدح في بني حمدانا
يصدق الشعر عندما يصدق الناس ∴ فيشدوا بمدحهم نشوانا
واذا عزت المكارم ولّ ∴ مطرق الرأس واجما خزيانا[1]

* * * * * * * * * * * * * * *

لقد شرف الدكتور / صابر عبد الدايم كل الشرف بمدحه لرسول الله (ﷺ) كما مدح العلماء والزهاد والأدباء فجاء مدحه معبرا عن مشاعر صادقة نابعة من قلب راض عما يخطه البنان لذلك جاءت قصائده بعيدة عن التكلف فمثلا عندما ننظر في مدائحه لرسول الله (ﷺ) نجدها تفيض شوقا زاخرا بالحب ، والحنان ومما يؤكد ذلك ما

(١) ديوان على الجارم جـ١- طـ دار الشروق صـ ٢٥٩-٢٦٠ .

قاله الشاعر في قصيدته (الشعر و الشاعر) من ديوانه نبضات قلبين إذ يقول : -

الشعر فيض من الرحمن مجراه ∴ لو كان وحيا لقلت الله أوحاه
لكنه سلسل فاضت مشاعرنا ∴ به وكنز لنا الرحمن أهداه
ولمحة من سنا الرحمن مشرقة ∴ وهاتف صادق في القلب سكناه[1]

* * * * * * * * * * * * * * * *

وكذلك نجده في قصيدته(إيقاعات غير منتظمه على باب الوجدان)[2] يقول : -

وإنما الشعر آفاق مغلفة ∴ بالصدق و الصدق في أرجائها زانه

ومدائح الشاعر للرسول (ﷺ) ما هي إلا تعبير صادق عن مشاعر صادقه كيف لا وهو الذى ربي على موائد القرآن منذ نعومة أظفاره وتقلب في رحاب الأزهر بين أحضان أقواله (ﷺ) وفي حله وترحاله مترسما خطاه (ﷺ) فنراه يقول في قصيدته

والتى بعنوان (صلوات في معبد الشوق) .

بقلبي من الأشواق يا خير مرسل ∴ لهيب به الأضلاع تكوي وتصطلي
بصحراء أفكارى غدوت مشردا ∴ ولى من حماكم خير مأوي ومعتل
ظمئت وما أرواني الغيث كله ∴ فروحي هي الظماى وقربك منهلى

* * * * * * * * * * * * * * * *

ونراه في قصيده اخري في مدح الرسول(ﷺ) بعنوان (أبا الزهراء) يقول : -

أبا الزهراء قد رقصت بقلبي ∴ مشاعر ما لها عد وحصر
رسول الله حسبي منك حبا ∴ وإني في مديحك مستمر
بقلبي من هواكم نار شوق ∴ ولكن ما بها لفح .. وحر
هواكم مثل روض عشت فيه ∴ وعيني من نضارته تقر

* * * * * * * * * * * * * * * *

(١) نبضات قلبين صـ١٢ .
(٢) نفسه .

وللشاعر قصائد عديده في مدح النبي محمد (ﷺ) في ديوان (مدائن الفجر) محل الدراسة سنعرض لها بالتفصيل في ثنايا البحث من ذلك قصيدته (أين الطريق) ومطلعها : -

ماذا أقول وقد أتت ذكراك ∴ حطمت حبك أم وأدت هداكا ؟
ماذا أضئ وليس حولي ومضة ∴ أسمو بهدي رجائها لعلاكا ؟ (١)

وهناك قصيدة أخري بعنوان (محمد ورحلة اليقين) ومطلعها:

نور الهداية في أعماقنا سكبا ∴ ومارد الإثم عن أرواحنا غربا
كنا حيارى وموج الشك يغرقنا ∴ لا الإثم ساد ولا الإيمان قد غلبا (٢)

ولم تقتصر مدائح الشاعر على الرسول (ﷺ) فقط بل مدح العلماء والأدباء وغيرهم فمن مدحه للأدباء ما قام به الشاعر من مدحه لأمير الشعراء أحمد شوقي حيث أشاد بشاعريته وشعره قال :

يا بلبل الشرق يا ألحان شاديه ∴ يا ضوء ناظره يا عز هانيه
قلدت جيد المعالي عقد مفخرة ∴ كانت قوافيك من أبهي لآليه
يا غنوة الشرق إن طلت مباهجه ∴ يامشرق النور إن طالت لياليه
قد جل قدرك يا شوقيٌّ عن كَلِم ∴ مهما يكن وبيان أنت ساقيه

****

وكذلك مدح العلماء ومن أشهر العلماء الذين مدحهم الاستاذ الدكتور عبد العال أحمد عبد العال أستاذ الحديث بجامعة الأزهر الشريف حيث يشيد بعلمه وفضله وخلقه ومَنْ غير الدكتور / صابر يصف أستاذنا الدكتور فيحسن الوصف إذ يقول : -

بدر منير في الوري لألاء ∴ غنت بعذب حديثك العلياء
لكم من الأعماق ألف تحية ∴ تسري بها من علمك الأضواء
يا طيف رشد في الأنام ورحمة ∴ سارت على آثارك العظماء

****

(١) مدائن الفجر صـ٤٥ .
(٢) مدائن الفجر صـ٥١ .

وكذلك نراه يمدح العالم الصوفي الزاهد الشيخ محمود أبو هاشم صاحب ديوان (الهاشميات) فنراد يمدحه بقصيدة يتحدث فيها عن بلاغته وفصاحته وروعة بيانه وحلاوة منطقه وسمو أدبه ويصف هيئته وموكبه وبهاءه ووقاره فيقول :

غدوت بعالم الارواح تشدو ∴ ونبض القلب يحضنه الصفاء
ملأت الأرض من نظم القوافى ∴ فجاء لقلبنا منه الدواء
ومن فمكم سري في الأفق شعر ∴ فدثر كوننا منه الضياء
نثرت الهدي في الأكوان عطرا ∴ فعم الحب وانتشر الإخاء
حديثكم بقلب الناس يسري ∴ كما يسري إلى الظمآن ماء

****

وبهذا نجد الدكتور / صابر عبد الدايم صادقا كل الصدق في كل تجاربه الشعرية فهي تجارب تنبىء عن حس صادق لا تكلف فيها ولما كانت لا تكلف فيها وجدناها خالية من المبالغات لأن التكلف دائما يدعو إلى المبالغات والغلو ولكن المدح عند شاعرنا ما هو إلا تقدير اخلا قي للمحامد ورسم مصور لما يجب أن يرتفع اليه المتلقي من مثل عليا يقررها الشاعر العظيم فهو حين يمدح متبوع لا تابع قائد لا مقود .

والشعر مرآه النفوس وصورة ∴ محسوسة مما تكن وتشعر

الرثاء :-

والرثاء من الموضوعات البارزة في شعرنا العربي اذ طالما رثي الشعراء من رحلو عن دنياهم إلي الدار الآخرة وهو يتعمق في القدم منذ وجد الإنسان ووجد أمامه هذا المصير المحزن مصير الموت والفناء الذي لابد أن يصير اليه فيصبح اثرا بعد عين . ولكل امة مراثيها والامة العربية من الأمم التي تحتفظ بتراث ضخم من المراثي وهي تأخذ عندها ألوانا ثلاثة هي : الندب ، العزاء ، التأبين.

أما النّدب :

فهو بكاء الأهل والأقارب حين يعصف بهم الموت ، فيئن الشاعر ويتفجع إذ يشعر بلطمة مروعة تصوب إلي قلبه فقد أصابه القدر في ابنه أو أبيه أو أخيه أو زوجته وهو يترنح من هول الإصابه ترنح الذبيح فيبكي بالدموع الغزار ، وينظم الأشعار يبث فيها لوعة قلبه وحرقته ، وقد ينظر فيري الموت مطلا بين عينيه وهو ينحدر راغما الي حفرته ، ولا ناصر له ولا معين ، ففم الهاوية يقترب منه يوشك أن يلتقمه فيبكي ويلحن بكاءه علي قيثارة شعره تلحينا مشجيا ، كله آلام وحسرات ، والشاعر لا يندب نفسه وأهله فحسب بل يبكي أيضا من ينزلون منه منزلة الأهل والنفس ممن يحبهم ويؤثرهم وكما يقول بعض الباحثين (إن خير الأمثلة لهذا الضرب من الرثاء هو رثاء الشيعة إذ نراهم يرسلون الدمع مدرارا كأنه لايريد أن يجف وتسيل كلماتهم وأشعارهم المحزنة وكأنها تسيل من جرح لا ترقأ في القلوب والأفئدة ومثل مراثي الشيعة مراثي الدول والأوطان حين تسقط مهيضة الجناح في يد الأعداء فينوح عليها الشعراء مصورين محنتها الكبري وكارثتها العظمي) [1].

العزاء :

أما العزاء فهو مرتبة عقلية إذ نري الشاعر يترك حادثة الموت الفردية التي هو بصددها إلي الحديث عن حقيقة الموت والحياة وفلسفتها وأنها ظل زائل لا يدوم .

التأبين :

والتأبين ليس ندبا ولا عزاء بل هو أقرب إلي الثناء منه الي الحزن الخالص ، إذ يَخِرُّ نجم لامع في سماء المجتمع فيشيد به

(١) الرثاء من سلسة فنون الأدب العربى د. شوقى ضيف طبعة دار المعارف صـ٦ .

الشعراء منوهين بمنزلته السياسية أو العلمية أو الأدبية على نحو ما كان يفعل الجارم مع الأعلام وكأنهم بذلك يريدون أن يصوروا خسارة الناس فيه ومن هنا كان التباين ضربا من التعاطف والتعاون الاجتماعي فالشاعر فيه لا يعبر عن حزنه وإنما يعبر عن حزن الجماعة وما فقدته في هذا الفرد المهم من أفرادها ولذلك يسجل فضائله ويلح فيها وكأنه يريد أن يحفرها في ذاكرة التاريخ حفرا لا ينسي علي مر الزمان .

والعرب قد عرفوا الرثاء منذ القديم وإن كان لم يؤرخ لشعرهم إلا قبل الإسلام بمائة وخمسين عاما وهو ما نسمية بعصر ما قبل الاسلام ولا نقول العصر الجاهلي وان كانت هذه الصفة ثبت بطلانها[1] والدليل علي أن شعر هذه الحقبة ليس أول شعر للعرب ما قاله شاعرهم عنترة بن شداد العبسي :

هل غادر الشعراء من متردم ∴ أم هل عرفت الدار بعد توهم

وقول زهير بن أبي سلمي :

ما أرانا نقول إلا معارا ∴ أو معادا من قولنا مكرورا

****

وفي عصر ما قبل الاسلام (كان النساء و الرجال جميعا يندبون الموتي كما كانوا يقفون علي مقابرهم مؤبنين لهم مثنين على خصالهم وقد يخلطون ذلك التفكير في الحياة و الموت وبيان عجز الانسان وضعفه أمام الموت وأن ذلك المصير محتوم[2] والدكتور صابر عبد الدايم شاعر مبدع حلّق في كل الأجواء وأبدع في كل أغراض الشعر المختلفه من مدح ورثاء ووصف وغزل وتاريخ واجتماع وهجاء .

(١) راجع فى ذلك أدب ما قبل الإسلام د/ محمد عثمان على .
(٢) الرثاء د/ شوقى ضيف صـ٧ .

والرثاء في شعره باب متسع ينبئ عن معدن الشاعر الأدبي ويبرزه بملامحه الفنيه إبرازا لا مراء بعده ، والشاعر مولع بالنابهين من الأعلام والعلماء يكسوهم المدائح أحياء ويبلل ثراهم بالدموع راحلين فهو عظيم التفوق في كل ميدان سواء كان علميا أو سياسيا أو دينيا أو اجتماعيا وهذا خلق كريم يرتفع بصاحبه فاذا كان مع هؤلاء أبوه وأخوه وعمه فلا علينا إلا أن نقرر حقيقة وهي أن من كان كريم الخلق مع أهله فمن الطبيعي أن يكون كذلك مع غيرهم .

ومن العلماء الذين رثاهم الشاعر بقصيدة طويلة الأستاذ الدكتور/ عبد العال أحمد عب العال . أستاذ الحديث بجامعة الأزهر اذ يقول فيه :-

شهدته في الظلال يحتجب ∴ وللسحاب الثقال ينتسب
تضيئ وجه الدروب طلعته ∴ وعن مرايا الضياء يقترب
في كل حقل ثمار راحته ∴ وحقله المستطاب ينتهب

* * * * * * * * * * * * * * *

ومن العلماء الذين رثاهم شاعرنا العالم الجليل الشيخ (راتب الشوّاف) وكان أستاذاً للشاعر في دراسته بالأزهر يقول في رثائه :

أين المنير وأضواء له سطعت ∴ بين الأنام فأضحي الجهل عرفانا
أين التقيّ وشمس العلم منه بدت ∴ بين البرايا فبات الكل جذلانا
أين الرجاء إذا انشقت لنا حفر ∴ من الضلالة والداعي لأخرانا
يا قلب عنك ولا تحزن فذا قدر ∴ سهامه لم تدع يا قلب إنسانا

* * * * * * * * * * * * * * *

والشاعر إن وقف راثيا لأساتذته عندما وافتهم المنيه فقد رثي أباه بمداد من دمه ، بكلمات صادقه تخرج من قلب مكلوم ، تزفر من صدر مكظوم وهل تُكْلَمُ القلوب وتكظم الصدور على أحد أحق من الأب أنظر إليه في المطلع إذ يقول : -

لساني معقود وفكري مبعثر ∴ وقلبي بالشكوي ينن ويزفر

وروحي بآفاق الأسي قد تطايرت ∴ كأشلاء آمال على النفس تخطر
وذاب كياني في جحيم تألمي ∴ فما عدت إلا بالنوائب أشعر
يقولون لي صبرا وإني لصابر ∴ وكيف على غدر المنية أصبر

* * * * * * * * * * * * * * *

وفى ليلة الوداع التى هي ليلة العرس لأخ الشاعر، فقد كان في البيت عرس وإذا به بعد الزفاف ينقلب حزنا إلا أن الشاعر وصف فأحسن الوصف وأبدع في ذلك أيما إبداع وقد جعل من الوفاة والعرس نقيضين قد إئتلفا في بيتهم حيث اجتمع الفرح والحزن في آن واحد حيث أن المهنئين في العرس هم المعزون لهم في وفاة أبيهم إنظر إليه وهو يقول : -

كأنك في يوم الوداع مناصر ∴ لنا مثلما عشت الحياة تؤازر
كأنك والأقدار في موكب الأسي ∴ حبيبان لا سر لذلك يظهر
وانا عهدنا الموت قصام أظهر ∴ فكيف رأينا الموت فيك يخير
أأخرت ركب الموت وهو محدد ∴ لتشهد عرس الابن وهو يعطر
وصفقت للدنيا بحفل زفافه ∴ وصفقت للأخرى لأنك تقبر
نقيضان في البيت الذى أنت نوره ∴ قد ائتلفا والناس للكل حضر

* * * * * * * * * * * * * * *

ثم يصل الشاعر إلى أعلي الذرا ذروة الحزن وذروة الفن حيث يشرك معه في الحزن عناصر الطبيعة التي كان يتعامل معها المرثي مثل الحقل يبكي والسنابل تحزن والسواقي تئن فبعد أن كانت ليلة مرحة فرحة وخرير مائها ناى وكوثر حزنا عليك غاض ماؤها وأصبح ماؤها دمعا عليك يفجره الحزن والأسي يقول : -

وتبكيك في الحقل الخصيب سنابل ∴ لكم كنت ترعاها فتنمو وتزهر
وأنت سواقي كنت في الليل خلها ∴ وفيها خرير الماء ناي وكوثر
هي الآن في صمت فقد غاض ماؤها ∴ ومن قلبها دمع الأسي يتفجر
إذا كان فى الموت انطلاق فمرحبا ∴ به من حياة ليس فيها تحرر
ويحكمها القيد الذى صب نارد ∴ على كل قلب في الحقيقة يبحر[1]

* * * * * * * * * * * * * * *

(١) المسافر فى سنبلات الزمن صـ٨٧ وما بعدها.

وكذلك نجد الشاعر كما أحب الأهل أحياء بلل ثراهم بالدمع راحلين فقد وجدناه يرثي عمه بقصيدة طويلة رائعة وهي تجربة شعرية صادقة تفيض بالحزن والأسي ، يحدوها شعور صادق ومدادها الدمع الغزير وموسيقاها تفوح بالحزن النابع من قلب مكلوم وصدر مكظوم إذ يقول : -

عمي إليك من القلوب قصيدة ∴ أبياتها نسجت من الأحزان
ومدادها الدمع الغزير ولا أري ∴ غير الأسي يحبو على الأوزان
قد راعني نبأ الوفاة وزادني ∴ فزعاً تحقق ما رأي وجداني
عمي رحلت الي النعيم مكرما ∴ وتركتني في ليلي المدجان

* * * * * * * * * * * * * * * *

ثم يشرك الشاعر معه عناصر الطبيعة في حزنه وإن كانت مشاركتها له في وفاة أبيه حيث أنه جعل عناصر الطبيعة في وفاة أبيه حزينة على المرثي الا أنها في رثاء عمه حزينة لحزنه هو ، مشفقة عليه فهو قد استدعي العناصر علها أن تخفف من حزنه على المرثي اذ يقول : -

في كل ناحية أنوح محسرا ∴ والطير يأسي من نواح جناني
فيرق لى عطفا على مرددا ∴ لصدي النواح مشاركا اشجاني
والنهر من دمعي تحول لونه ∴ حتي غدا بالدمع أحمر قان

* * * * * * * * * * * * * * * *

ولم يتوقف رثاء الدكتور / صابر عبدالدايم عند حد العلماء والأهل فقط فإلى جوار رثائهم فقد رثي أخاه بقصيدة عظيمة ضمها لديوانه محل الدراسه (مدائن الفجر) في قصيدة رائعة تعد من فرائد قصائد الرثاء في العصر الحاضر وهي بعنوان : (الطائر الحبيب) والتى يقول فيها : -

قد مضى العمر في اصطياد الرجاء ∴ فاسكن الآن في ضياء الفناء
عدت للأرض وهي تسرق منا ∴ ذهب العمر وانتلاق الدماء

أيها الطائر الحبيب تعود الآن ∴ شلوا على أكف القضاء
ما لنا غير حفنة من دموع ∴ هل يعيد الحبيب فرط البكاء؟

* * * * * * * * * * * * * * *

ولم يكن الشاعر ممن يقصر ويحصر حبه على الأهل وأساتذته وفقط بل نجده وطنيا من الطراز الأول اذ نجده يرثي أحد أبطال مصر والعروبة والإسلام المعاصرين الشهيد البطل (سليمان خاطر) ابن الشرقية الولادة وحفيد عرابي فى البطولة والإباء وربيب أرض البطولات والأمجاد ، وكان رثاؤه له في فتره عصيبة حالكة ألجمت فيها الأفوه وأخرست الألسن إلا أنه إذا كان الشهيد بطلا فالشاعر بطل لا يهاب أحدا في سبيل الحق والوطن اسمع اليه وهو يقول : -

أيها الطالع من أفق التواريخ المجيدة ∴ بوركت تلك الرصاصات العنيدة
انها اجتاحت جدار اليأس فينا ∴ والارادات ..... البليده
أيقظت فينا شرايين التحدي ∴ وأعادتنا إلى الأرض الجديدة
هذه الأرض على زنديك تهتز ∴ .... وفي عينيك تمتد .....

* * * * * * * * * * * * * * *

وهي قصيده مطوله نلمس فيها البطولة الشعرية فسليمان إن كان بطلا بالسنان فالشاعر بطل فى موقفه الشجاع.

وبعد فإن الشاعر البطل الدكتور/ صابر عبد الدايم شاعر يقدر الفضائل ويقدر أصحابها لذلك نجده يمدحهم أحياء ويبلل ثراهم بالدموع راحلين إن دل هذا على شئ فانما يدل على صدقه ووفائه.

الشعر القومي والإسلامي عند صابر عبد الدايم : -

هنا آثرت أن يكون العنوان لهذا الغرض (الشعر القومي والإسلامي) لأني وجدت أن شعر الوطنيه عند صابر عبد الدايم لم يقتصر على التحدث باسم مصر وإنما شعره يتحدث باسم الإسلام والعروبة أنىً وأين وجدت وهو لا يعرف القومية ذات الحدود وإنما قوميته تتمثل في كل شبر عليه تنطق (لا اله ألا الله) إذ هو

لايعترف بالحدود الطبيعية فهو ابن الإسلام في الأندلس (الفردوس المفقود) وابن الإسلام في شرق الأرض وغربها ، والشعر القومي في أدبنا العربي قديم قدم الشعر إذ كانت القومية محدودة عند العرب فكان الشاعر يحدد قوميته في قبيلته فكأنه لسانها المنافح والمدافع ودرعها الواقي وفي عصر صدر الاسلام توسعت القومية فكانت القومية الاسلامية التي لا تحد بلون ولا جنس بل شعارها التوحيد فأخذ الشعراء يدافعون عن الاسلام ونبيه المصطفي (ﷺ) حيث كانت الظروف الباعثة لهذا الشعر القومي تتجدد بين الحين والحين على الساحة العربية والاسلامية الى أن جاء عهد الأمويين فانحصر الشعر في موقف الأحزاب ، وأصبح كل حزب له شعراؤه في حين لم تعدم الأمة الشعراء الذين ينادون بأسمها ومن هنا نقرر مع من قرر أن الحالة السياسية في أي أمة لابد من وجود علاقة بين الأدب والسياسة وهذه العلاقة تأثير وتأثر (والأديب الإنساني يشعر في أعماقه شعورا قويا أن لمجتمعه عليه حقوقا واجبة الأداء ، ومملكته العتيدة التي يرف تاجها على جبينه تضم المظلومين ، والمضطهدين، وضعاف الحيلة ، فينبغي أن ينافح بأدبه عن حقوق المستضعفين والأجراء وأن يعزف لهؤلاء وأولئك في كثير من التنوع ألحان الحرية والعدالة والمساواة بحيث يشجيهم اللحن وتثيرهم النغمة ولا تزال تلك رسالته حتي يتحرر بها الأرقاء والمستعبدين ، ويستشرف إليها الجائي فينهض ، واليائس فيؤمل ، ونجاح الاديب في رسالته تلك يقاس بمقدار ما يثير من خواطر وبما يجدد من عزمات ، وما يذيق من حلاوة الحرية وجمال العدل)[1] ودائما كان الشاعر يحمل هذه

(١) مجلة الرسالة عدد١٠٤٣ لسنة ٢١ للخميس ٩ يناير ١٩٦٤م صـ ١١ د/ عبدالرحمن عثمان (الأديب بين الأثرة الفردية والروح الجماعى)٠

الروح الاجتماعية نحو قومه والشعراء دائما تجذبهم القومية نحو أوطانهم وأحوال الناس فيها لذلك نجد أحد الباحثين يقول : -

(والشعر القومي بكل جوانبه نتاج الثورات العربية في مواجهة المعتدين على الحريات والمحتلين المستعمرين والحكام المستبدين ، وغريب العادات والتقاليد وهذا الشعر ليس وليد العصر ، وانما هو شكل جديد لأغراض المدح والهجاء الشخصيين والفخر والحماسه ، وقد ذوت هذه الأغراض وذبلت ليحل محلها ، مدح الجماعه ، وهجاء العادات والتقاليد والأفعال ، ويكاد يكون هذا الشعر وليد العصر إذ هو مختلف في صورة مواجهته لأمور جدَّت على الأمة لم تكن موجودة من قبل) [1] والشعر القومي عند صابر عبد الدايم يعد صاحب النصيب الأوفي والأوفر في جميع دواوينة ما طبع منها ومالم يطبع نجد ذلك ماثلا في أول دواوينه وهو (نبضات قلبين) ثم في ديوانه (المرايا وزهرة النار) (وفي ديوانه العمر والريح) وأوفي دواوينه بالشعر القومي ديوانه مدائن الفجر وهو محل الدراسة فمن شعره القومي على سبيل المثال لا الحصر ما جاء في ديوانه نبضات قلبين إذ يقول :

يا أسود العرب هيا للقاء ∴ فوراء الليل هالات الضياء
إنظروا مجد الألى قد سطروا ∴ صحف المجد وعاشوا في إباء
سحقوا الظلم وشادوا عزهم ∴ ولهم مدت أياديها السماء
إن خسرنا اليوم شبرا فقدا ∴ باتحاد الصف نجتاز الفضاء
فاجمعوا الشمل وهبوا للظفر ∴ وسنجني بعده غض الثمر[2]

(١) فى الأدب العربى المعاصر القسم الثانى د/ إبراهيم عوضين صـ٣٩-٤٠ ط١ سنة١٩٧٦ السعادة.

(٢) نبضات فى قلبين صـ١٥ .

والقدس وفلسطين تحتل مكانا خاصا في قلب الشاعر وشاعريته فهو من الجيل الذي عاش بدايات الاحتلال وهو إلى اليوم يحياه ، وفلسطين تئن تحت وطأة المستعمر الغاشم المستبد فنراه يتحدث عن القدس وما يحدثه فيه أبناء القردة والخنازير وأعوانهم ممن يكيدون للعروبة والاسلام ٠

فيقول : -

هذه أنات أرضي حائرة ∴ ودماني في عروقي ثائرة
وربوع القدس يكسوها الأسي ∴ وجراح السهم فينا غائرة
معبد الطهر ومحراب الصفا ∴ ولغت فيه كلاب غادرة
ما علينا أيها العرب إذن ∴ غير أن نغدوا سيوفا باترة
إن نصرنا الله ينصرنا غدا ∴ وعلى الباغي تدور الدائرة[1]

ونراه في قصيدة قومية أخرى يستحث العرب والمسلمين على الثأر من هؤلاء الجرذان والثعالب الماكرة المخادعة يقول :-

هناك على رُبَا عكا ويافا ∴ يناديننا من الإغفاء مجد
لواء النصر في حطين نادى ∴ شباب العرب هيا واستعدوا
وزودوا عن حمي الأوطان بأسا ∴ وغدر السالبين الحق ردوا
يهون الصعب عند رجوع حق ∴ وأن الحق مهما غاب يبدوا
وأن الثأر يغلي في عروق ∴ تريد الموت أو لا تستبد
وللأحرار إن ثاروا لهيب ∴ يذوق لظاه خصمهم الألد[2]

ويؤكد الشاعر قوميته التى لا تعرف الحدود المصطنعه بل هي كما أسلفنا القومية الإسلامية فنراه في قصيدته والتي بعنوان :-

(١) نفسه ٠
(٢) نفسه ٠

(أعراس الشفق) حيث يقول : في تقدمته لها (إلى سراييفو ..وهي تزف إلى السماء وتدفن نفايات الهزائم في ضحي الأحـزان) يقول : -

مالت إلى الغرب المآذن
ودم الأهلة في السماء يقيم أعراس الشفق
وتصدعت رؤيا النبوءات العقيم
ويطل (أحمد) في يديه الأي والذكر الحكيم
يلقي إلينا نار آيات القتال
يتلوا علينا صورة المجد الكليم
صوت المآذن في سراييفو تجمد
وإلى ربا الفردوس
قد ضاعت عناصر أمة
لتعود بالقرآن كونا قد توحد
كل المحاريب انتفاضة أمة تهوى محمد
كل الدماء حدائق ...
تهدى عطاياها محمد(١)

* * * * * * * * * * * * * * *

ونراه في قصيدته (صوت العروبة) يدعو العرب والمسلمين إلى نبذ اليأس وكسر القيود وهدم السجون ويدعوهم إلى الحرية كما يدعوهم إلى التمسك بالقرآن وسننه إذ هو مفتاح النصر والفـلاح إذ يقول : -

اطـردوا اليـأس فكـم مـن فرحـة ∴ أشـرقت مـن بعـد حـزن وجـراح
واكسروا القيـد وهـدوا سـجنكم ∴ إن أسمى العيش ذا العيش السـراح
واحملـوا القـرآن في القلـب سـنا ∴ وعلـى أيـديكم يبـدو السـلاح
ولسـينا ، وفلسـطين ازحفـوا ∴ زحفـة النـور إلى وجـه الصباح(٢)

* * * * * * * * * * * * * * *

(١) ديوان مدائن الفجر صـ١٧ .
(٢) نبضات قلبين صـ١٦ .

الشاعر لم ينقطع عن أحداث وطنه بل هو مرتبط بها أشد الإرتباط فهو يعبر عن الأمة وآمالها أصدق تعبير ففي قصيدته غابة النار يتحدث عن وطنه الذى عبثت به يد المستعمر فبعد أن كان جنة الله في أرضه استحال إلى غابة موحشة وليته اكتفي بوصفه أنه غابة بل جعله غابة نار لما حل به من دمار وبوار بعد أن كانت تشرق منها شمس الحضارة ثم يتعرض لهذا الإعتداء من قطر عربي (العراق) على قطر عربي اسلامي (الكويت) التي هي في الحقيقة لم تكن إعتداء على قطر بعينه بل إعتداء على كل الأقطار العربية والإسلامية ولا زلنا حتي الأن نصطلي بسعيرها المحرق ولهيبها اللافح الذى لفح الأرواح والقلوب قبل الأجساد إذ يقول :

حديقة النور أمست غابة النار ∴ لا ظل فيها ولا أطلال قيثار
شمس الحضارة في أرجائها انطفأت ∴ وقصة البعث عادت بوح تذكار
بغداد .. أين خطي المنصور مورقة ∴ بالمجد تسحق وجه الذل والعار
أين الرشيد وسيف العدل في يده ∴ يرد نقفور عن أهلى وعن داري ؟
أين المنارات .. والمأمون يشعلها ∴ فكرا يفيض بجنات وأنهار ؟
وأين معتصم (تختال) قبضته ∴ بصارم من سيوف الله بتار
وأين .. أين ..؟ ولا جدوي ففي زمني ∴ الفلك تغرق في طوفان غدار
لا عاصم اليوم من سيل الدمار سوى ∴ سفينة الحق تردي كل جبار

* * * * * * * * * * * * * * *

الشعر التوجيهي عند صابر عبد الدايم : ـ

الشاعر الدكتور / صابر عبد الدايم كما أسلفنا عند الحديث عن حياته ونشأته علمنا أنه حفظ القرآن الكريم منذ نعومة أظفارد وتم توجهه إلى الأزهر الشريف درع العالم الإسلامي الواقى وحصنه الحصين ، منه يخرج النور وفيه يتلقي العلماء علمهم فيخرجون إلى العالم منارات ساطعه تضئ للناس جوانب الحياة ؟، وتهدي الحيارى في ليلهم الحالك البهيم ، والشاعر أحد علماء الأزهر المبرزين ، فهو للمنبر فارس، وللشعر ناظم، ولمجتمعه مراقب فخطبه الدينيه

توجيهيه فهو ينظر إلى المجتمع بعين الناقد الذي يري المثالب فيصوغ من خطبه وشعره الدواء الناجع في صورة العلم النافع لقد نظر شاعرنا إلى مجتمعه فرأي الأدواء تنوشه من كل مكان ، وسهام الجهل والخمول والشتات والظلم والضياع والأمراض الخلقية تصوب صوب صدره فنهض يحارب أمراض المجتمع ، ويسدي إليه النصح واضعا يده على أسباب العلاج آخذ بناصيته الى طريق العلم والحرية والتقدم وعالم الفضائل والمثل ودنيا الحب والطهر والوفاء فمن الأمراض الإجتماعية التي حاربها شاعرنا مرض دارت حوله معارك كبري في عصرنا الحديث وقد وجد من يناصره ويدعو إليه ويرغب فيه من المستغربين أذناب المستشرقين ، ومن يجابهه ويواجهه ويحاربه ويضرب على يديه من ذوي الفضيلة ودعاة الطهر والعفاف والقيم النبيله هذا المرض هو داء السفور ، لقد وقف شاعرنا من هذا الداء موقفا صلبا قويا ، فبين زيفه وآثاره السيئه والمدمرة وأضراره الفتاكة التي تفتك بالمجتمع وتهوي به إلى الهاوية)[1] فمثلا قصيدة (حواء) وهي قصيدة تعد من فرائد القصائد العربية في التوجيه والدعوة إلى تعاليم الإسلام والإلتزام بها ومما يثير العجب بالشاعر أنه نظم هذه القصيدة وهو لايزال طالبا في المرحلة الثانوية لم يَعْدُ السابعة عشر من عمره وكأن هذه إشارة واضحة إلى ما تنطوي عليه نفسه من طهر وعفاف ورفض لكل سلوك يخالف تعاليم الإسلام منذ نشأته كما يدلنا على مجتمع الشاعر وبيئته الرافضه لكل عرف يخالف الأعراف الإسلامية والإنسانية وهذه القصيدة يقول عنها الشاعر ما هي إلا هاتف روحي .. ولحن قدسي ...من أجل الفضيلة . يقول في المطلع : -

(١) أبعاد التجربة الشعرية فى شعر د/ صابر عبدالدايم – د/ صادق على حبيب صـ٨٦-٨٧ .

حـواء صـوني حسـنك الموهوبـا ∴ ودعـي الجمـال الزائـف المجلوبـا
حـواء عـودي للعفـاف فقـد غـدا ∴ فيـك الجمـال مزيفـا مكـذوبا
أظننت أن الحسـن كشـف مفاتن ∴ يغـري نفوسـا سـحرها وقلوبـا
وتمايـل الأرداف تحـت خميلـة ∴ قـد زانهـا خـد تضـوع طيبـا
حتي غدوت مـع السـفور كدميـة ∴ وظننـت أن الكشـف لـيس معيبـا
لا ..لا فأن الحسـن حسـن شمائـل ∴ وتعفـف عمـا يكـون مريبـا

****

فلو نظرنا إلى المطلع من هذا المقطع عندها نلحظ أمرين:-

١- ما وصلت إليه المرأة العربية والمسلمة في مصر وغيرها من سفور مَقيت .

٢-تبرم الشاعر من حالتها ومخالفتها للزي الإسلامي وكـذلك عدم مراعاتها للدين .

فالشاعر يشير إلى أن المرأة قد فطرت على شئ من الجمـال وهذا الجمال هبة من الله أعطاها لها ليستمتع به الرجل فكما قال احد الحكماء والفلاسفة (خلقت المرأة لتسعد بالحب وخلق الرجل ليسـعد بالمرأة) إذن هي فطرت على الجمال ، والجمال عند النساء لا يعـد نسبيا فالجمال عند إمرأة قد لا يهواها الرجل ولكن يهواد آخر فلـولا اختلاف الرأي لبارت السلع ، والشاعر ينصح المـرأة المسـلمة أن تحافظ على هذا الجمال ولا تعتدي عليه بوضع المسـاحيق والزينـة التي تعكر صفو هذا الجمال و لذلك منذ عصور بعيدة تنبه الشـعراء لمثل هذا فقال أحدهم

حسن الحضارة مجلـوب بتطريـة ∴ وفي البـداوة حسـن غـير مجلـوب

وبعد أن ضاق بها الشاعر وبما تقوم به من أعمـال منافيـة للعفاف يطلب منها أن تعود للعفاف فبغير العفـاف أصـبح جمالهـا مكذوبا وهي على ذلك خير شاهد حيث أنها بوضعها للمساحيق كأنها تعلن في صراحة أنها غير راضية عن جمالهـا الطبيعـي فراحـت

تستعير ما يجلب لها الجمال وكأنها لم تدرك أن هـذا اعتـداء علـى الخالق وأعتداء على خلقته وكأنها قد استجابت لقول الشيطان وأمره عندما قال (ولآمرنهم فليغيرن خلق الله) صدق الله العظيم.

ثم يقف موقف الناصح الفاهم لطبيعة الرجال ذوي المـروءات وأصحاب الغيرة والنخوة أنهم لا يعجبهم هذا الصنيع من المرأة التي فهمت أن الحسن كشف مفاتن لتغري قلوبا ونفوسـا عنـد ضـعاف الإيمان ، وكذلك تمايل الأرداف تحت ثياب ذات زينة وبهرجه مخالفه للزي الإسلامي وخدودهن المصبوغه بالألوان المضـمخة بـالعطور ناسية أو متناسية قول النبي (ﷺ) (إذا خرجت المرأة من بيتها وهي متعطرة فهي زانية وكل عين تنظر إليها زانية)

وبعد ذلك يصحح لنا الشاعر المفاهيم فيقول لقد أصبحت مـع هذا العمل كدمية لا روح فيها ولا جمال فإن كنت قد ظننت أن الكشف للمفاتن ليس معيبا فهو العيب كل العيب ثم يرفض هذا الصنيع ويكرر الرفض لا...لا... فان الحسن حسن خصال وشمائل والبعد عن كـل مريب معيب .

ثم يتوجه إليها بالخطاب أنها تقلد أهل الغرب في أفعالهم حتى أصبحت لا حياء لديها ، وأصبحت متلهفة على كـل مبـادئ الغـرب وكأنه أصبح إماما يجب إتباعه ولا يخفي ما في كلمتـي (تلهفـا ، ووثوبا) من معان وكذلك يبين أنها تعادي كـل الفضـائل الشـرقية والإسلامية وأدارت ظهرها لكل تعاليم الإسلام تكذيبا له ، ولم تكتـف بذلك بل أصبحت مادحة لتقاليد الغـرب مظهـرة عـداءها للشـرق الشريف، في حين صار الغرب بتقاليده لها حبيبا ، والغرب حتي فـي خطئه مصيب عند النساء وما هذا الا تنكر للعادات والاصول العربية والاسلامية منها ،وما هذا إلا أن نفسها جحدت وطغت بعد أن كانـت وادعة وأصبت في قلبها فيقول: -

الغـرب قـد قلدتـه أفعالـه ∴ حتي غدا فيك الحياء غريبا
ووراء كـل مبـادئ غربيـة ∴ خلنـا عليـك تلـهفا ووثوبـا

ورميت كل فضيلة شرقية ∴ ولويت عنقك للهدي تكذيبا
وأبنت للشرق الشريف عداوة ∴ والغرب في عينيك عاد حبيبا
فكأن هذا الغرب صار إمامنا ∴ والكل عند الأمر صار مجيبا
ونرى اذا ما قال قولا خاطئا ∴ أن النساء تقلن كان مصيبا
هل أن ذاك تنكر وتباعد ∴ عن أصلنا والأصل عاد كئيبا
كالبدر ران عليه طيف غمامة ∴ وغدا الضياء بطيفها محجوبا
ما هذا إلا أن نفسك قد طغت ∴ بعد الوداعة والفؤاد أصيبا

* * * * * * * * * * * * * * *

وفي اللوحة التالية نراه يقرر أن المرأه بهذه الفعال قد أصابها داء عضال وعليها إن أرادت الاستشفاء والتطبيب لدائها أن تعود وتقصد مهد الهداية فأولى بها أن تحب العلم فنحن في عصره وليس في عصر (الموضات) الواردة إلينا من الغرب التى حببت إلى نفسها. وعصر العلم هذا ينادي بالتمسك بالفضيلة وبنبذ الرزيلة ، والعلم لنا فخر إن كان معه الحياء رقيبا وعصر العلم ، هذا ينادي بالرجوع إلى تعاليم الشريعة ، وزمن السفور قد مضي فقد كان عنا غريبا وهو الأن ليس كذلك ونجد الشاعر يصل إلى قمة نبوغه الشعرى عندما يصور الفضيلة باكية وبكاء الفضيلة من أفعال نسائنا ، فهن بأفعالهن قد ظننَّ الفضائل أصبحت غريبة عليهن .

يقول مصورا هذه المعاني : –

حواء قد عدت السقيمة فاقصدي ∴ مهد الهداية ان اردتَ طبيبا
انا بعصر العلم لا عصر به ∴ (المينجب)[1] غدا اليك حبيبا
عصر ينادي بالفضيلة مبدأ ∴ والعلم فخرا والحياء رقيبا
عصر ينادي لا حياة لأمة ∴ لم تحس من كأس الشريعة كوبا
زمن السفور لقد تلاشي ظله ∴ ومضي كما يمضي الدخيل ..كئيبا
ما شمسه سطعت ولكن غرها ∴ برق الخداع وذا نراه .. كذوبا
بكت الفضيلة من فعال نسائنا ∴ حتي ظننَّ الفضل عاد غريبا

* * * * * * * * * * * * * * *

(١) كلمة تطلق على نوع من ثياب المرأة قصير.

وفي اللوحة التالية يبدأ بمثل ما يبدأبه اللوحة السابقة والتكرير هنا ليؤكد ما أل إليه الحال المرأة في الشرق .

ولا عليها إلا أن تثوب إلى رشدها وتطبق تعاليم ربها ثم يضرب لها المثل العالى الرفيع فيستدعي شخصية أم المؤمنين خديجة لتكون هي المثل الذي يجب احتزاؤه

(واستدعاء الشخصيات التاريخية الإسلامية ، وبعثها في أعماله الشعرية والاستعانة بها على توضيح رؤيته للحاضر ولذلك يجيئ الاستدعاء طبيعيا محققا لما يراد منه من تأثير ، وتبدو الصله بين التاريخ والحاضر وثيقة عند شاعرنا ، وقد أجاد الشاعر الربط بينهما مما ضاعف من تأثير شعره على قارئه[1] والشاعر هنا يختار أم المؤمنين خديجة لتكون المثل الأعلى للنساء وهو اختيار موفق فخديجة ما عرف عنها يوما أنها قصرت ثوبا ولا خضبت فما ولا نشرت شعرا ، بل زينت بالفضيلة والعفاف والطهر ، ورائحة الفضيلة تضوع بالطيب ومع ذلك فلقد ملكت على خير البرية قلبه وتحكي لنا الكتب الصحاح أنه كانت هناك صديقة لخديجة وبعد موتها كانت تزور رسول الله فكان يفترش لها رداءه ، فدبت الغيرة في قلب الصديقة بنت الصديق (عائشة) فقالت لرسول الله من هذى ؟ فقال لها الحبيب (ﷺ) انها كانت تأتينا أيام خديجة فردت عائشه هل كانت إلا عجوز قد أبدلك الله خيرا منها فقال (ﷺ) بوقاء وحب وهو خير البرية والله ما أبدلني الله خير منها فقد : أعطتني حينما حرمني الناس ، ، وآوتني عندما طردني الناس وصدقتني عندما كذبني الناس ورزقني الله منها الولد).

(١) المرايا وزهرة النار ديوان الشاعر تقديم د/ عبدالحكيم حسان صـ١٢٨ ط الهيئة المصرية العامة للكتاب سنة ١٩٨٨م .

ثم يأخذ الشاعر بعض المثل واستدعاء الشخصية الاسلامية بتقرير حقيقة أمام حواء العصر وهي أن هذا هو الجمال ، جمال الروح قد رزقه الله الخلود وهو لم يكن مجلوبا ولا مكذوبا .

يقول الشاعر : -

حواء قد عدت السقيمة فاقصدي ∴ مهد الهداية ان أردت طبيبا
هذي خديجة ما ثيابا قصرت ∴ كلا ولا فمها رأي تخضيبا
مازانها فرع طويل فاحم ∴ بل زانها خلق تضوع طيبا
ملكت على خير البرية قلبه ∴ بوفائها السامي فدام حبيبا
هذا جمال الروح ياأختاه قد ∴ رزق الخلود ولم يكن مكذوبا

* * * * * * * * * * * * * * *

ثم يختتم الشاعر بهذه الدعوة الصادقة المخلصة التي إن تمسكت بها حواء العرب والمسلمين نجت ونجت مجتمعاتنا من هذا التردي في مهاوي الرزيلة فيقول : -

من كأس هدي محمد هيا ارشفي ∴ فالرشف منه ينضر المعطوبا
وتراجعي عما أحالك دمية ∴ وتستري فالستر ليس معيبا
بشريعة الدين الحنيف تمسكي ∴ كي تأخذي من ذا الجمال نصيبا
والى جمال في الحياة مخلد ∴ لا يعرف العالي ولا المثقوبا
هيا وسيري كالملاك وديعة ∴ والطهر يملأ بالصفاء قلوبا

* * * * * * * * * * * * * * *

الهجاء عند الدكتور / صابر عبد الدايم :

وقد آثرت أن أؤجل الحديث عن هذا الغرض عند الشاعر إلى آخر هذا المبحث لأن بعض الباحثين نفاه من شعره وتعلل بعلة واهية حيث قال (من خلال دراستنا لشعر الشاعر صابر عبد الدايم) : -

وتتبع أشعاره في دوواوينه الشعرية نستطيع أن نقف على اتجاهاته الشعرية ، ومنابع التجربة فيها . وسواء أكانت هذه الاتجاهات تقليدية أم تجديدية فإنها تنبع من معين واحد وهو الحب الذي يمثل الرافد الرئيسي لتجارب الشاعر على تعددها وتنوع ألوانها

يدلنا على ذلك خلو شعره من الهجاء ، وإذا كان ابن قتيبة قد ذهب إلى أن الشعراء في الطبع مختلفون ، فمنهم من يسهل عليه المديح ويعسر عليه الهجاء ومنهم من تتيسر له المراثي ويتعسر عليه الغزل فكل غرض شعري بناء مستقل[1]، وأخذ الباحث في التدليل على ما ذهب إليه من خلوا شعر الشاعر من غرض الهجاء كفن شعري متحللاً من مذهب (ابن قتيبه) من أن خلو شعر الشاعر من هذا الغرض قد يكون لصعوبة الهجاء عليه فيقول : - فإن الإنصاف يدعونا إلى القول بأن الشاعر (صابر) لم يكن ممن يعسر عليهم الهجاء فقد ذكر الشاعر أنه هجا وهو في بدء حياته شخصا ما بقصيدة واحده لم يقل غيرها ولم يصرح باسمه وحاولت من خلال الحديث معه أن أقف على ملامح هذا الشخص ، فعرفت أنه شيخ من شيوخه إبَّان دراسته في المعهد الديني ، وكان الشيخ قاسيا عليهم مما دفع بشاعرنا الطالب إلى هجائه ، ولما حاولت معرفة شئ من هذه القصيدة منعه خلقه وطبعه من ذكر شيئ منها ، وأظهر نسيانها وفاء منه لأستاذه وشيوخه[2].

والباحث يريد أن يؤكد رأيه من أن شعر الشاعر خال تماما من غرض الهجاء معللا ذلك بخلق الشاعر الكريم ، وطبعه الحميد وثقافته الإسلامية ، وفهمه الدقيق ، وإدراكه العميق لرسالة الشعر وسموها وبهذا يكون الشاعر قد قام بوضع لبنه في صرح الشعر الإسلامي الذي يبني ولا يهدم ، يؤصل القيم النبيلة ، والمثل العليا .

فيقول فلم يكن شاعرنا (صابر) ممن يعسر عليهم الهجاء ، ولكن خلقه الحميد ، وطبعه الكريم ، وأصالة محتده ، وثقافته الإسلامية ، وفهمه العميق وإدراكه التام لوظيفة الشعر وسمو رسالته

(١) أبعاد التجربة الشعرية صـ٥٩ .
(٢) نفسه صـ٥٩ .

قد دفعه إلى الإعراض عن الهجاء ، وهو بذلك يضع لبنة في صرح الشعر الإسلامي الذي يبني ولا يهدم ، يؤصل القيم النبيلة ، والمثل العليا في عالم الفضائل والمثل[1] من خلال ما ذهب إليه الباحث نستطيع أن نقف عند نقاط : -

أولا : - قوله ان عاطفة الحب التي هي منبع تجربة الشاعر منعته من قرض الشعر في غرض الهجاء .

- وأنا أقول له ياسيدي هل عاطفة الحب تمنع من الهجاء ؟

من قال بهذا ؟ وهل الهجاء في اظهار المعايب والمسالب وقذف الناس بما ليس فيهم وفقط ؟ ألم يكن من الهجاء قرض الشعر بغرض التوجيه إلى الفضيلة ونبذ الرزيلة وفي هذا هجاء لأناس قد اعتادوا الرزيلة فيأخذ الشاعر بأيديهم إلى تركها والتمسك بالفضيلة وهذا أيضا بدافع الحب أين أنت من قصيدة حواء التى أطلت الوقوف حيالها وما الشاعر فيها إلا هاج لطوائف من بنات حواء انخرطن في العادات الغريبة وفتنوا بها في ملبسهم ومظهرهم .

إسمع معي إلى قول الشاعر : -

حواء صوني حسنك الموهوب ∴ ودعي الجمال الزائف المجلوبا
حواء عودي للعفاف فقد غدا ∴ فيك الجمال مزيفا مكذوبا
أظننت أن الحسن كشف مفاتن ∴ يغري نفوسا سحرها وقلوبا
وتمايل الارداف تحت خميلة ∴ قد زانها خد تضوع طيبا
حتي غدوت مع السفور كدمية ∴ وظننت أن الكشف ليس معيبا
لا ..لا فأن الحسن حسن شمائل ∴ وتعفف عما يكون مريبا

* * * * * * * * * * * * * * * *

هل تري هجاء أقذع من هذا الهجاء فقد رمي كل من تخلت عن مبادئ وعادات الإسلام بأقسي الصفات على المرأة حتي تثوب إلى رشدها وتسمع نداء ربها وتحيي سنة نبيها فقد جعل جمالها زائفا

(١) نفسه صـ٥٩-٦٠ .

مكذوبا وقد نفي عنها صفة العفاف ، ووصفها بالسفور واظهار العورة . ووصفها في مشيتها بالميوعة والتصنع المقيت ، ثم بعد ذلك يرفض ما هي عليه من أخلاق مجتمعية فيقول : ..لا..لا فكأنه تكرير للرفض وأنا أحس أن الشاعر هنا قدير فقد استطاع أن يصور لنا رجلا مقطب الوجه يشيح بيديه معرضا عن محدثيه ، كما هجاها بعدم الحياء وفي اللوحة التاليه يصل الهجاء الى أعلى مجاليه بحيث يهجوها في تقليدها للغرب وجعلها منه إماما لا يخطىء ومعاداتها للشرق وعاداته وتقاليده وأصوله ثم بعد ذلك يهجوها بطغيان النفس ومرض القلب .

اذ يقول : -

الغرب قد قلدته أفعاله ∴ حتي غدا فيك الحياء غريبا
ووراء كل مبادئ غريبة ∴ خلنا عليك تلهفا ووثوبا
ورميت كل فضيلة شرقية ∴ ولويت عنقك للهدي تكذيبا
وأبنت للشرق الشريف عداوة ∴ والغرب في عينيك عاد حبيبا
فكأن هذا الغرب صار امامنا ∴ والكل عند الأمر صار مجيبا
ونرى إذا ما قال قولا خاطئا ∴ أن النساء تقلن كان مصيبا
هل أن ذاك تنكر وتباعد ∴ عن أصلنا والأصل عاد كئيبا
كالبدر ران عليه طيف غمامة ∴ وغدا الضياء بطيفها محجوبا
ما ذاك إلا أن نفسك قد طغت ∴ بعد الوداعة والفؤاد أصيبا

والقصيدة مليئه بالهجاء ، فهو يرميها بالخبث وبعدم المروءة كما رماها بالمعايب والمفاسد ، هل بعد هذا نقول أن شعر الدكتور صابر خال من الهجاء بدعوي (الحب) وأنا أري في مثل هذا نقول أن الحب العالي هو الذى دعاه لمثل هذا الهجاء فهو يحب عروبته ويحب إسلامه ويحب أمته متبوعة لا تابعة ، والهجاء من خلال الحب أكبر معين عل الاصلاح إنظر إلى الشاعر الذي يقول :

فقسا ليزدجروا ومن يك راحما ∴ فليقس أحيانا على من يرحم

إذن الدافع إلى القسوة والزجر هنا هو الحب كما أن الدافع للشاعر على الهجاء لحواء المقلدة للغرب هو أيضا الحب .

من باب قولة تعالى (إن أريد إلا الإصلاح ما استطعت وما توفيقي إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب) صدق الله العظيم .

وفي رؤيتي الخاصة أري أن الشاعر أكثر من الهجاء في شعره حتي ليخيل لي أنه أكثر الأغراض عنده وهو أيضا بدافع الحب الذى هو المعين الصافي لتجربته فهو يحب الإنسانية ويدعوهم إلى التراحم ونبذ العنف والخلاف لذلك نراه يهجو هجاء مقذعا كل من دعا إلى العنف وآمن به ومن صنع آلات للحرب وسفك الدماء إنظر إليه في قصيدته (أقباس من ملحمة الإيمان) وهو يقول : -

فقد مات فينا كل عزم ومبدإ ∴ وقد فقنت للحق في العصر عينان
فأصبح كالعشواء يخضن ليله ∴ وفي قلبه للنور أعذب ألحان
وغرد عربيد وصفق ظالم ∴ وأن ولى تحت أسواط طغيان
بك العدل في الأكوان أورف ظله ∴ ولكنه فينا غدا شبه عريان
بك الحق في الأرواح غرد بالمني ∴ ولكنه فينا ينوح بأحزان
بك الامن في الألباب سار ضياؤه ∴ ولكنه فينا فريسة ذؤبان
بك العلم كالنبراس مزق ظلمة ∴ ولكنه فينا غدا نار عدوان
بك الحب قيثار بلحن الصفا شدا ∴ وفي عصرنا يمشي ببكم وكتمان
بك الدين في ننس البرايا خلودها ∴ وفي عصرنا قالوا شريعة صبيان
ومن مَدَدِالرحمن نصرك ملهم ∴ وفي عصرنا يأتي من الأحمر القاني
فما قيمة الإنسان إن قِيَمُ له ∴ تلاشت وأضحت في مجاهل نسيان
إلى شرعة الغابات يا بدر ينتمي ∴ ويمضغ كبد النور في حقد جوعان
فقد عاد كالأسماك يأكل بعضه ∴ ويحرق (بالنابالم) أكباد غزلان
ويزرع نبت في قلب عالم ∴ تربي على فسق وانجاب كفران

* * * * * * * * * * * * * * * *

هذه بعض أبيات من ملحمة الإيمان عند شاعرنا نجده يصب فيها جام غضبه على أعداء الإنسانية الدعاة إلى الحرب .

وصنع الألات الفتاكة، المغرمين بسفك الدماء وإشاعة الخوف والذعر بين أفراد الشعوب ، وفي القصيدة الكثير من الهجاء مما لا يخفي على ذا اللب وما هو إلا بدافع من الحب والمودة لكل البشر .

ثانيا : - النقطة الثانية وهي : أن الباحث يقول :إن خلو شعر الدكتور صابر عبد الدايم من الهجاء هو بمثابة إرساء لبنه في صرح الشعر الإسلامي الذي يبني ولا يهدم والذى يؤصل الفضائل والمثل العليا ، وأنا أقول له يا سيدي من قال بهذا ؟ وهل الشعر الإسلامي هو الذى قد خلا من الهجاء ؟

كلا وألف كلا فالواقع الاسلامي للشعر يؤكد غير ذلك ، أين نحن من روائع حسان في الهجاء ، بل أين نحن من حض وحث الرسول لحسان على الهجاء عندما قال له (إهجهم وروح القدس معك) أين نحن من قصيدة حسان في فتح مكة والتى مطلعها : -

عفت ذات الأصابع فالجواء ∴ الى عذراء منزلها خلاء

يقول فيها : -

لنا في كل يوم من معد ∴ قتال أو سباب أو هجاء
فنحكم بالقوافي من هجانا ∴ ونضرب حين تختلط الدماء

الى أن يقول :

هجوت محمدا ، فأجبت عنه ∴ وعند الله في ذاك الجزاء
أتهجوه ، ولست له بكفء ∴ فشركما لخيركما الفداء
فمن يهجو رسول الله منكم ∴ ويمدحه وينصره سواء
فإنّ أبي ووالده وعرضي ∴ لعرض محمد منكم وقاء

****

فهنا حسان قد رد على هجاء المشركين لرسول الله ، وهل رده عليه كان مدحا أم هجاء؟

أم قال له سامحك الله وعفا عنك ؟

إنه قد هجاه هجاءً أشد وأعنف وسُرَّ منه رسول الله ومع ذلك هل قال أحد عن شعره أنه شعر غير إسلامي أو قال أنه يهدم ولا يبني ؟ إن شيئا من ذلك لم يحدث ومع ذلك فإن هذا الشعر قد وضع أسسا عظيمة ومتينة لصرح الإسلام الشامخ ، وصابر عبد الدايم ما هو إلا صوت الحق الذى يستمد قوته ومادته من أسلافه الذين شادوا صروح العز والفخار للاسلام باللسان والبنان والسنان إنظر إليه في قصيدته (نقوش على جدران المسجد الاقصي) والتي يقول فيها هاجياً لأبناء القردة والخنازير : -

يا قدس طير البغي فيك يحلق ∴ والمسجد الاقصي يدك ويحرق
الغاصبون زمان أمنك ما دروا ∴ أن الحجارة في اشتعالك فيلق
قد أضرموا النيران فيك .. وفي قلو ∴ بهم الفساد مع الجحود معلق
المسجد الأقصي يقاوم كيدهم ∴ وبه إلى فجر الأمان تشوق

* * * * * * * * * * * * * * *

ومن هنا نستطيع أن نقول أن الهجاء لا يقل عن المديح ولا يوصف صاحبه بالغلظة أو قسوة القلب وإنما قد يكون كلاماً قاسياً ومع ذلك باطنه فيه الرحمة وظاهره فيه العذاب

وشعر الدكتور صابر عبد الدايم ملئ بالهجاء لأعداء الله والفضيلة سنشير إليه حين تعرضنا لشعر العروبة والاسلام في ديوانه الأغر (مدائن الفجر) .

المبحث الثالث
(شعر العروبة في مدائن الفجر)

الدعوة الي القومية العربية قديمة وقد سبق اليها الأدباء فالأدباء قبل الساسة دعوا إليها ، ولو أننا تتبعنا ذلك لوجدناه واضحا جليا فقد قضي الشعراء في العصر الحديث ردحا من الدهر يتجاوبون بأهازيج الوحدة الاسلامية ممثلة في الخلافة العثمانية وزاد من حماستهم للخلافة أنهم وجدوا الدول الغربية تكيد أعظم الكيد للاسلام وشعوبه في حملاتها على تركيا ، وعلى الولايات الإسلامية الخاضعة لها .

وهالهم أن الدول الأوربية تبيت الشر للخلافة وتتطلع إلى إقتسام ولاياتها ، وتحرض المسيحية منها على الاستقلال والانفصال. وقد تكشف هذا في مؤتمر برلين عام ١٨٧٨م حينما إجتمع لحل مشكلات تركيا في البلقان ، لكنه لم يسفر إلا عن تمزيق ولاياتها وابتلاعها .

وقد بدأ تحقيق المطامع بأن احتلت إنجلترا جزيرة (قبرص) واحتلت روسيا بعض ممتلكات تركيا على البحر الاسود ، واضطرت تركيا إلى التخلى عن رومانيا والصرب ، ثم احتلت فرنسا تونس في عام ١٨٨١م وبعد ذلك بعام واحد نصبت انجلترا أحابيلها لاحتلال مصر غير عابئة بمعاهدة لندن عام ١٨٤٠م ، ثم هاجمت ايطاليا طرابلس عام ١٩١١م واضطرت تركيا إلى التخلى عنها عام ١٩١٢م لتفرغ لثورات في البلقان عاتية .

فكان الرد الطبيعي على هذا العدوان المتكرر أن يؤيد المستنيرون الخلافة ، وأن يناصروا آل عثمان ، وأن يتهموا أوربا صادقين بأنها تجددها حربا صليبية ثانية ، وأنها لا تضرب ضربتها إلى تركيا وحدها ، بل تصوبها إلى الأمة الإسلامية ممثلة في بني

عثمان ، لم يجد الساسة والأدباء في ذلك الوقت تنافيا بين العاطفة الدينية والعاطفة الوطنية ، بل لقد وجدوا في ارتباطهم الإسلامي بتركيا سلاحا يفلون به الاستعمار الأوربي الطاغي ، نتبين هذا في مصر ،وسوريا ، والعراق ، إلا على ألسنة قلة من الأدباء كانت لهم منازع فردية جامحه ، لكن العرب المستنيرين لم ينسوا في هذا الخضم أنهم أصحاب قومية يجب أن تتحدد وقد بدأ نزوعهم هذا يستعلن منذ أواخر القرن التاسع عشر مطالباً بحقوق العرب ، مستحثا عزائمهم مسلمين ومسيحيين إلى أن يتحدوا ليكون لهم كيان خاص في الخلافة العثمانية ، ويدركوا العنت النازل بهم ، ونشأت جمعيات شتي لتحقيق هذا الغرض : منها جمعية حفظ الملة العربية عام ١٨٨١م والجمعية التي انعقدت في باريس عام ١٨٩٦م من شباب العرب والترك ، ودعت الى أن يحكم الولايات العربية حكام عرب مستقلون في ظل الخلافة العثمانية ، ثم صدر الدستور العثماني عام ١٩٠٨م فحقق العرب بعض ما يريدون ، إذ انتخب من الأقاليم العربية نواب يمثلون العرب بالأستانة وكان عددهم يزيد على ربع أعضاء المجلس .

ورأي أحرار العرب في الدستور كفالة لحريتهم ، فانطلقت ألسنتهم من عقالها ، وأقلامهم من أغلالها ، وتنفس الذين كانوا مختنقين بالإرهاب والاستبداد ، فتيقظ العرب وأزداد إدراكهم لحقوقهم المسلوبة ، ورأوا أنهم ورثة مجد عليهم أن يبعثوه ، وصدرت صحف عدة في العواصم العربية كان لها تأثير عظيم في إيقاظ الرأي العام وبث الروح القومي العربي .

ثم تبين العرب أن اقطاب العهد الجديد يسيرون في الحكم كسابقيهم فيعززون قوميتهم التركية ، ويقاومون العناصر الأخري ، وجعلت الصحافة التركية تكشف عن نوايا الأتراك وتنال من العرب ،

فانبرت الصحف العربية ترد على التهجم بمثلة ، ونظم الشعراء من الأتراك ومن العرب القصائد ، وكان في هذا الصراع إزكاء للقومية العربية ، ونجم عن هذا الشعور أن انفض العرب عن الاتحاديين ، وأن شرعوا ينشئوا جمعيات عربية جديدة في عواصمهم بالقاهرة ودمشق وبيروت وبغداد وفي الأستانة نفسها لتعزيز العرب والدفاع عن حقوقهم ، وتسويتهم بالترك في الوظائف والأعمال .

وكان لهذه الجمعيات أثرها القومي في بعث القومية العربية وتنبيه الشعور القومي ، والدعوه الى حكم عربي داخلى ، وإلى تعاون العرب على ما فيه خيرهم ، وناصرتهم جرائد شتي بالأقطار العربية .

ومنذ ذلك الوقت ترددت فكرة القومية العربية في الشعر الحديث خافتة الصوت ، مبهمة الغاية في أول الأمر ، ثم قوي صوتها واتضحت أهدافها بعد ذلك ، والحق أن الفضل في نشأة الجامعة العربية القائمة وفي استهلال الوحدة العربية المنشودة – يرجع إلى الأدباء قبل الساسة لأن الأدباء يصدرون عن نفوس مبرأة من المطامع الشخصية ويعبرون عن آمال الشعب ، أما الساسة فكثيرا ما كانت تسيطر عليهم أهواؤهم وشهواتهم الشخصية ومخاوفهم من الوحدة فصاروا يقفون بالفكرة ، أو يرجعون بها إلى الوراء أكثر مما يدفعونها الى الأمام[1].

ولم تكن الوحدة العربية والدعوة إليها لتقف عند هذا الحد ففي كل زمن أحداثه ولكل فتره شعراؤها وساستها وإنسان الأمس هو إنسان اليوم والغد فكما قام الشعراء في السابق بالدعوة إلى الوحدة العربية وبعث قوميتهم كذلك نادي من جاء بعدهم ومن هؤلاء

(١) الجارم فى ضمير التاريخ د/ أحمد على الجارم – من مقال للدكتور أحمد الحوفى صـ١٧٧-١٧٨ ط١ عام ١٩٩٤م. . .

الشعراء الذين نادوا بها وبالاتحاد بين العرب ، والدعوة إلى قراءة التاريخ والإستفادة من دروسه وشاعرنا العظيم الدكتور (صابر عبد الدايم) وهو كما قال عنه أحد الباحثين (لقد شاءت الأقدار أن يولد شاعرنا (صابر) في عام ١٩٤٨م ذلك العام الذي شهد مأساة فلسطين الفادحة ، وسقوطها في أيد الصهاينة ، فاقتطعت فلسطين العزيزة من جسم العروبة وفصلت عن العالم العربي ، واغتصبها اليهود ورفعوا العلم الصهيوني على ربوعها ، وشردوا شعبها عن الديار وجعلوه يهيم على وجهه في الأرض يطارده اليأس ، ويلاحقه الشقاء ويتخطفه الردي) [١] .

ولم يتوقف عدوان الصهاينة الغاشم على جسم العروبة بكاملة فما خبر(صبرا وشتيلا وقانا ومخيمات اللاجئين والاعتداء على مصر واحتلال سيناء الحبيبة والاعتداء على سوريا واحتلال الجولان ، وجنوب لبنان منا بعيد) وما من كيد يدبر للعرب والمسلمين حتى يومنا هذا إلا والموساد الإسرائيلي ضالع فيه ، كل هذه الأحداث وغيرها جعلت شاعرنا العربي الأزهري يتفاعل مع أحداث وطنه الأم أرض العروبة إسمع إليه إذ يقول : –

يا أسود العرب هيا للقاء ∴ فوراء الليل هالات الضياء
انظروا مجد الألي قد سطروا ∴ صحف المجد وعاشوا في إباء
سحقوا الظلم وشادوا عزهم ∴ ولهم مدت أياديها السماء
إن خسرنا اليوم شبرا فقدا ∴ باتحاد الصف نجتاز الفضاء
فاجمعوا الشمل وهبوا للظفر ∴ وسنجني بعده غض الثمر

وإسمع إليه أيضا إذ يقول : –

شباب العرب هيا واستعدوا ∴ ليوم ليس من عمري يعد
ليوم الثأر من فئة تمادت ∴ وأعمي قلبها صلف وحقد

* * * * * * * * * * * * * * *

(١) الشعر العربى الحديث فى مأساة فلسطين د/ كامل السوافيرى صـ٢٩٩ .

وله قصيده بعنوان (صوت العروبة) يقول فيها : -

اطـردوا اليـأس فكـم مـن فرحـة ∴ أشـرقت مـن بعـد حـزن وجـراح
واكسروا القيـد وهـدوا سـجنكم ∴ إن أسمي العيش ذا العيش السـراح
واحملـوا القـران في القلـب سـنا ∴ وعلـى أيـديكم يبـدو السـلاح
ولسـينا وفلسـطين ازحفـوا ∴ زحفـة النـور الى وجـه الصـباح

هذا ودواوين الشاعر ملآى بالقصائد التي تحث العرب على الحرب والاتحاد من أجل الخلاص من هذا العدو الذى جثم على صدر الأمة . أما قصائد العروبة في ديوان (مدائن الفجر) محل الدراسة فهي تتحدد في قصائد (مدائن الفجر ، غابة النار ، السفينة والطوفان) وإن كان الشاعر في باقي قصائد الديوان لم ينس الحديث عن العروبة ووطنة الحبيب إلا في قصيدة واحدة جاءت في رثاء أخيه الدكتور صفوت عبد الدايم وهي بعيدة عما رسمناه لأنفسنا من منهج تقوم عليه الدراسة .

أولا : ـ قصيدة مدائن الفجر

والتى مطلعها :-

١ـ معلـق بـين تـاريخي وأحلامـي .. وواقعـي خنجـر في صـدري أيـامي

وهذه القصيدة بعنوان (مدائن الفجر) وهي تعد من فرائد الشعر المعاصر لما اشتملت عليه من رؤي إبداعية إستخدم فيهـا الشـاعر أدواته الفنية من رموز موحية واستدعاء للتاريخ واستنطاق له كمـا استخدم عناصر الطبيعة من الأشجار – والخيل – والليل – والبيـداء – مدار الجدي – مدار السرطان – خط الإستواء الى آخره .

ولا يفوتنا في بادئ الأمر أن نقف وقفه مـع عنـوان التجربـة (مدائن الفجر) والذي اتخذ منه الشاعر عنواناً لديوانه وما فيه مـن رمز يملؤه الإيحاء فمدائن العرب وعواصمهم قد أطبق عليها الليـل وكستها الظلمه والشاعر مع ذلك يطلق عليها مدائن الفجر أملا فـي فجر مشرق بسّام يهل عليها بنوره فيبدد ظلمتها ويصلح فسادها وهو في ذلك معلق بين تاريخ أمته المجيد الذى كانت فيه هـذه المـدائن قلاع الحضارة ومبزغ العلم والثقافة لكل حواضر العـالم حالمـا أن تعود سيرتها الأولى إلا أنه عندما ينظر إلى الواقع يجده مرا فيصدم بصخوره المؤلمة فلقد ابتدأ الشاعر قصيدته بلوعة حـري تعكسـها الحيرة التي بدت في تعلقه بين تاريخه وأحلامه وواقع عالمه المـر الذي عبر عنه بكونه خنجراً في صدر أيامه ثم تنداح دائرة الحسـرة لأنه يخطو فيرتد عليه خطوه دون أن يصل إلى هدفه وغايته وليس في فكره وأفقه غير بقايا من تاريخه وتاريخ أمته المشرق .

ولهذا فلقد مزقت أوردته في شعاب حلمه وفي دمائه قد أورقـت أشجار أوهامه ولا يخفي ما في أسلوبه من تجسيد للمتخيل وتجسيد للمعقول وعندها أراد أن يخرج من دائرة هذا الواقع المـؤلم فأعـد قافلة عتادها الخيل والسيف والرمح إلا أن مدائن الفجر المتخيلة لـم

تفتح له ولا لقافلته وبهذا لم يغادر وقع أقدامه ولم يحرك ساكنا ويقول في هذا المقطع المصاحب للمطلع :-

معلق بين تاريخي وأحلامي ∴ وواقعي خنجر في صدري أيامي
أخطوا ... فيرتد خطوي دون غايته ∴ وما بافقي سوي أنقاض أنغام
تناثرت في شعاب الحلم أوردتي ∴ وفي دماني نمت أشجار أوهامي
مدائن الفجر لم تفتح لقافلتي ∴ والخيل ... والليل .. والبيداء قدامي
والسيف والرمح في كفي من زمن ∴ لكنني لم أغادر وقع أقدامي

****

وفي اللوحه الثانية نجد الشاعر يلجأ إلى عناصر الطبيعة مستجوبا إياها (تشدني لمدار الجدي أسئلة) .

وكذلك مدار السرطان وكذلك خط الإستواء

وهنا يجب أن نتساءل : هل في عقول الشعراء لوثة وهم يتوجهون إلى الأحجار بالسؤال ويخلعون عليها صفة الحياة ؟

الحقيقة أن الشعراء لم تكن بهم لوثة ولكنهم منحوا حسا أرق من حس جميع البشر وعيونا ليست كعيونهم وخيالاً أوسع من أقطار الأرض ولذلك يشعرون بما لا نشعر به – نحن البشر العاديين ويرون بعيون غير عيوننا ويتجاوز خيالهم أقطار السماوات والأرض ؛ فلا عليهم بعد ذلك أن يتصوروا حياة في الأحجار مما يسهل لهم الإندماج فيها ومناجاتها ، واستعطافها ، ومن هنا ففي الامكان أن نتصور تخلف قوانين الطبيعة إذا كان هناك ما يبرر ذلك ، على نحو ما نري.

في قوله تعالي ﴿وَإِنَّ مِنَ ٱلْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ ٱلْأَنْهَٰرُ ۚ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَشَّقَّقُ فَيَخْرُجُ مِنْهُ ٱلْمَآءُ ۚ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ ٱللَّهِ ۗ﴾ [1] صدق الله العظيم

فإذا كانت قدرة الله قد بررت حدوث ما تحكيه الآية الكريمة فان قدرة الله التي منحت الشاعر تلك الموهبة حتي جعلته متميزاً على

(١) سورة البقرة آية ٧٤ .

كثير من خلق الله هي وراء تصور التعقل والإحساس في الجمادات ، فلا على الشعراء بعد ذلك أن يهيموا بهـا حبـا ويتجـاوبوا معهـا ويتخيلوا فيها حياة .وبعد ذلك يعلن الشاعر ما آل إليه الحـال مـن تشتت وانقسام في غير حيزه ودائرته ، وقد أصبح لا يري إلا آلامه مجسدة تملأ عليه كيانه ويبلغ الشاعر قمة التفوق على نفسه عندما يعلن أن زمنه منكوب وقد تملكته نكبة هذا الزمن حتي أنه لم يعد في ظلامه الحالك إلا مجرد بعض أرقام .

يقول الشاعر مصورا ذلك : -

تشـدني لمـدار الجـدي أسـئلة ∴ يشـبها سـرطان الحـيرة الـدامي
وتحتمي باستواء الريح أشرعتي ∴ والمـوج يقـذفني أشـلاء أنسـام
أدور منقسـما في غـير دائرتـي ∴ ولسـت أبصـر إلا ظـل آلامـي
ودورة الـزمن المنكـوب تلقفـني ∴ وإنـني في دجاهـا بعـض أرقـام

* * * * * * * * * * * * * * *

وفي اللوحة الفنية التالية نرى الشاعر قد بلغ حد النضج الفنـي حين يضعنا بين واقعين ليقرر من خلالهما حقيقة وهي أنـه لا أمـل لأمة العرب في ظل الواقع المرير المؤلم من أن تعود إلـى مجـدها الزاهر .

إذ يقول : -

أنه بلغ الأربعين من عمره ومع ذلك لم ير ، ولم يـدرك أمنيـة تمناها قد تحققت وأشرقت شمسها ثم يأتي بالواقع الآخر وهو حقيقة (يوم مولده) وعند ولادته عندما هلّ صارخا معلنا مَقدمه ابتسـمت أمه وأصبح يومها كثير التبسم ، والطفل عندما يبصـر لا يـدرك إلا واقعا يملؤه الأمان والسلام ولا تري عيناه غير ذلك ، ولكنه عنـدما يشب عن الطوق ويري الواقع بعين الخبرة يصدم بصـخور الواقـع المؤلم ، الذي كان يتمني خلافه ولكنه يُسَرِّي عن نفسـه ويعزيهـا بحقيقة وهي أنه يستحيل أن يحقق ويدرك الانسان كل أمانيه ، حيث

أن الرمح يطعن ما لا يبتغي الرامي ولهذا حطمت آماله وأدواته ، ونكص عن الإقدام يقول مصورا ذلك : -

الأربعون تسوافيني وما بلغت ∴ رؤاي مشرق أسفاري وأحلامي
صرخت أعلن أني جئت فابتسمت ∴ أمي لصبح أتاها جد بسام
ويبصر الطفل في العينين أودية ∴ من الأمان وما ناءت بأسقام
وحين ينشب في الأيام رؤيته ∴ يري مرايا المني أوهام أقلام
ما كل ما يتمني المرء يدركه ∴ فالرمح يطعن ما لا يبتغي الرامي
وفي انكسار المرايا حطمت سفني ∴ وفي انحراف الزوايا غاب إقدامي

****

وتبلغ الحسرة بالشاعر مبلغها عندما ينظر إلى واقع وطنه وأنه قد ضاعت معالمه كما ضاعت هويته ، وأرضه تنبش عن أشلاء أبنائه الأحرار ، فأحياء الوطن يحيون حياة الذل والهوان وشهداؤه ضاعت أشلاؤهم تحت التراب ومع هذا وذاك لسانه لا يكاد يبين لما يلقي عليه من مواقف ما هي إلا زيف ووهم من أعدائه ، وإحجام عن الإقدام من أبنائه وحكامه ، وأصبحت خطاه بلا غاية ولا هدف ، فهو يسير متخبطا على غير هدي ، وهذه حدوده بالنار والحروب مشعله ، وأبناؤه في أوطانهم يسومهم الخسف والذل والارهاق يفعلون ما يملي عليهم ويساقون مثل الأغنام قهرا ، ومن هنا أصبح الوطن لا شئ يميزه إلا حدود قد صنعها الغرب ليفتت وحدته ، ويبدد شمله ويفرق جمعه وأصبح يسير مع النعماء حيث تسير والذى جعله على هذا النحو ، أنه أعطي الأعداء أذنا غير واعية لما يحاك له من شر ، عندها وقف عن التقدم والرقي والثأر من كل معتد غاشم ، وعندها أطلقوا عليه الوطن النامي ذا الشعوب المتخلفة التي تحيا في العالم الثالث ومع ذلك لم يع أبناؤك ولم يستفيدوا من تاريخ أمتهم واختلطت عليهم الأمور عن عمد وعن غير عمد ، فلقد كنت حر

الحركة والإرادة تفتح الأمصار وتنشر الإسلام ولكنك الآن انحصرت مهمتك في حراسة الحدود وتنفيذ ما يملي عليك .

يقول الشاعر مجسدا تلك المعاني : -

وغبت يا وطنا ضاعت هويته ∴ والأرض تنبش عن أشلاء أقوام
هذا لسانك مسجون تقيده ∴ مواقف الوهم من زيف واحجام
وذى خطاك بلا درب يصاحبها ∴ وذي رؤاك بلا لون وأعلام
وذي حدودك بالنيران مضرمة ∴ وخلفها الناس ترعي مثل أغنام
غيرت جلدك لاشئ أميزه ∴ به سوي أنه من صنع أعجام
أعرتهم منك أذنا غير واعية ∴ فحنطوك وقالوا : الصاعد النامي
وما وعيت سوي أمشاج فلسفة ∴ وكنت سهما بها لم يرمه رام
وكنت قردا نمت أطواره صعدا ∴ حتي غدا في دجاها العنصر السامى
وكنت تخطر في الأرجاء منطلقا ∴ فصرت عبد الحدود الحارس الحامي

* * * * * * * * * * * * * * * *

وفي اللوحة التالية نجده يترحم على وطنه لما أصابه من محن ومصائب وجهت إليه في مقتل ثم أخذ يتحدث عن أعداء الوطن واصفا أياهم بأنهم مجانين حيث أشبعوه بأسلحتهم الذرية الفتاكة فهم لا قلوب لهم وعيونهم من زجاج لاتري وهج النور وهم يسعدون بأن يسقطوا البلايا والرزايا على رؤس الأيتام وهم شياطين الإنس يسيرون في موكب شياطين الجن لا فكر أصيل عندهم بل فكرهم وثقافتهم لقيطة كما أن فكرهم يهدم ولا يبني يخرب ولا يعمر هم يتقدمون حتي وصلوا الى أرض القمر وصبوا عليك حقدهم واثامهم .

يقول الشاعر مصورا هذه المعاني : -

فكم رميت على الشطآن يا وطنا ∴ ضاعت هويته في تيه أكام
وكم سقتك سلاف الذر طائفة ∴ من المجانين عاشوا مثل أنعام
لهم قلوب بلا نبض يحركها ∴ مثل الدمي سقطت في كف فحام
عيونهم من زجاج لاترى وهجا ∴ من الحقيقة يروي العالم الظامي
في حمأة الطين لا يحلو لهم نغم ∴ سوي انفجار الرزايا فوق أيتام
ودار في فلك الشيطان موكبهم ∴ يسقي بفكر لقيط النبع هدام

لمركب الشمس طاروا وامتطوا لهبا ∴ وأمطروك بأحقاد وآثام

* * * * * * * * * * * * * * *

وفي اللوحة التالية وبعد أن عدد رزايا أعداء الوطن نجده يصور لنا ما نتج عن تلك الرزايا في صوره ادبية تثير الهمم وتوقظ المشاعر حيث أن أرضنا أورقت بالموت الملطخ بالدماء وكذلك الأعلام لونت بدماء الأحرار فكأن الأرض والجو كسيا دما من دماء العرب ، وكذلك شوهت أوجه الأطفال لما أصابهم وهم أجنة في الأرحام من مواد كيماوية من أثر ما ألقي على أوطانهم من غازات سامه ، وكذلك أصبحت الأجنة تموت في الأرحام من أثر ذلك وعندها يسأل الشاعر العرب حاثا لهم على التوحد والقضاء على الفرقة والشتات .

وهل نعود إلى أوطاننا ناجين من تلك الغربة التي أخذت منا الكثير والتيه الذى أضاع عزتنا وقوتنا ، ونرقب نور النصر وعز الفوز بعد ذلك السقوط في الهاوية ، وعندها نحمل السيف في كف موحدة اجتمعت على هدف واحد وهو الذود عن الوطن وفك أسره وكسر قيوده من يد العدوان والإجرام هذه الوحدة تذكرنا أمجاد المسلمين في غزوة بدر وأحد وتريد بطلا كأسد الله (حمزة بن عبدالمطلب) عم الحبيب محمد (ﷺ) يقول الشاعر : -

فأورقت بالمنايا الحمر ساحتنا ∴ ولونت بدماء الحر أعلامي
وشوهت أوجه الأطفال يا وطني ∴ والموت طارد أطفالا بأرحام
فهل نعود كما كنا بني رحم ∴ نقضي على هاتف في النفس قسام ؟
نعود من غربة للتيه تطعمنا ∴ ونرقب الفجر يأتي بعد إظلام
ونحمل السيف في كف موحدة ∴ تذود عن وطن في فك إجرام
ترنو لبدر وفجر الحق في أحد ∴ تهفو الى (أسد) للشرك قصام

* * * * * * * * * * * * * * *

وفي اللوحة التالية يقرر الشاعر أن مدائن الفجر أبت ورفضت أن تفتح لقافلته لذا توجه بقافلته الى عصر النبوة بغزواته وانتصاراته وفتوحاته ليجد المرفأ الظليل الذي يستقرئه ويريد من معاصريه استظهاره والعمل به وله ، لذلك بعد أن تفيأ ظلال غزوة بدر وغزوة أحد وعاش في رحاب أبطال الإسلام المغاوير وعلي رأسهم الحمزة بن عبد المطلب وعلى بن أبي طالب وغيرهم يعود بقافلته من هناك مستبشرا ببزوغ فجر الأمة الإسلامية ، وقافلته تسبح في أنوار الإسلام وربوعه وهذه الربوع ملأى بحدائقها التي عشقها أهلها وتمكن العشق من قلوبهم وهم يسكنون فيها قوم يتابعهم أقوام وهذه كلها أمانٍ يتمناها الشاعر العظيم وهي دائما لا تخبو عن ذاكرته فهي على الدوام ماثلة يتمني تحقيقها .

اذ يقول : -

فمن هناك تعود الآن قافلتي ∴ وتبصر الفجر في آفاق إسلامي
تعود في ثبج الإسلام سابحة ∴ والموج حول ضياها مثل أعلام
ملأى حدائقها بالعشق يسكنها ∴ وفيه نسكن قوما بعد أقوام
هذى الأمائي لا تخبو بذاكرتي ∴ وقد تداعت إليها أول العام

* * * * * * * * * * * * * * *

وبعد هذا التطواف بين تاريخ الأمه وما كان عليه حالها وما آل إليه في زمن الشاعر ، ما كان عليه من فتوحات وانتصارات وما آل إليه حالها من صنع الحدود بين أقطارنا وتفتيت وحدتها وتشرزم شعوبها وانقسامهم على أنفسهم نجد الشاعر يطلق استفهامه المعبر عما وصل إليه الحال من ضيق وتبرم من واقع أمته .

إذ يقول :

هل بعد كل هذا أظل كما أنا معلق بين تاريخي وأحلامي وأنا قد بح صوتي وجف حلقي وسودت صحفي وتعب قلمي وكلت يراعي وفي النهاية واحة فواحة من أفكار ومضامين يتمني أن تتحقق حتي

لا تنداح أوردته في شعاب المني ولا يري السيف في كفيه من زمن ومع ذلك لم يغادر وقع أقدامه فهو يتمني أن تكسر القيود المفروضة على وطنه وأمته يقول الشاعر مصورا هذه المعاني : -

فهل أظل كما أقبلت من سفري ∴ معلقا بين تاريخي وأحلامي ؟
وفي شعاب المني تنداح أوردتي ∴ وفي دماني تري أشجار أوهامي ؟
والسيف والرمح في كفي من زمن ∴ لكنني لم أغادر وقع أقدامي

****

التعليق العام

في بداية القصيدة يوقفنا الشاعر على البعد النفسي الغائر في أعماقه والذي تمور فيه الحسرة وتضطرم فيه اللوعة وهنا يستوقفنا سؤال :

- لم كل تلك الحسرة واللوعة ؟

أننا لو استنطقنا الأبيات لو جدناها تنطق بالاجابة لأن الشاعر صور لنا مظاهر اللوعة فأحسن تصويرها مما يشجعنا على أن نتخيل لوعته وحسرته على ماضي الامة المشرق التليد وما ال اليه حالها. على أن الشاعر أدرك الغاية التي رسمت للأمة العربية .

العاطفة

الشاعر في عاطفته :

لو أننا أردنا أن نتعرف على لون عاطفة الشاعر في الابيات الاربعة والثلاثين من أول المطلع حتي البيت الرابع والثلاثين فسوف نراها من النوع الغائم الذي ينقل بأمانة دخيلة الشاعر ، ويعري نفسه الحزينة الباكية المكتئبة في إسفار ووضوح ، ولكن روعة الشاعر في ذلك أنه استطاع أن يستخرج صبحا مشرقا من ليل مظلم حين أشرقت عاطفته وهو يصور رؤيته وتذكره لغزوتي بدر وأحد وتجسيده لأبطال المسلمين حين يقول :

ترنو لبدر وفجر الحق في أحد ∴ تهفو الى (أسد) للشرك قصام
فمن هناك تعود الآن قافلتي ∴ وتبصر الفجر في آفاق إسلامي
تعود في ثبج الاسلام سابحة ∴ والموج حول ضياها مثل أعلام
ملأى حدائقها بالعشق يسكنها ∴ وفيه نسكن قوما بعد أقوام
هذى الأماني لا تخبو بذاكرتي ∴ وقد تداعت إليها أول العام

* * * * * * * * * * * * * * *

ويعود الشاعر من جديد إلى توليد عاطفة غائمة من عاطفة مشرقة فبعد أن انبسطت الأسارير بضياء المجد العربي والإسلامي في غزواته وفتوحاته وأبطاله ، ونراها تعبس من جديد فى وجه الشاعر الذي استرجع من جديد الواقع الراهن المؤلم .

إذ يقول :

فهل أظل كما أقبلت من سفري ∴ معلقا بين تاريخي وأحلامي ؟
وفي شعاب المني تتداح أوردتي ∴ وفي دماني تري أشجار أوهامي ؟
والسيف والرمح في كفي من زمن ∴ لكنني لم أغادر وقع أقدامي

* * * * * * * * * * * * * * *

على أن التنقل بين العواطف بتلك الصورة يثير حول الشاعر اتهاما بالقلق الفكرى ، والاضطراب العاطفي ، وهنا أقول : أن الشاعر وإن تنقل بين تلك العواطف المتباينة – في المظاهر – إلا أن

مصدرها واحد وهو نفس الشاعر ، ومثير تلك العواطف واحد وهو الواقع العربي المؤلم فالعواطف هنا لا تتناكر ، ولكن تتشعب تبعا للمثير الذي يحركها حتي يشعر الشاعر بأنه أراح نفسه بالتأسي على ذلك الواقع المر والابتهاج بالتاريخ المشرق ، وبذلك يكون الشاعر تكامليا في نظرته تلك .

الصورة في القصيدة

أما عن الصورة الكلية فهي مكثفة في العنوان ، ومبسوطة في المعني ، وعن الصور الجزئية المألوفة فقد كانت في ذات الوقت طريفة بمعني أن الشاعر لجأ الى جملة من المعنويات التي تدرك بالعقل وحدد فيصيرها حسية مجسمة لإحداث الإثارة وتصوير حالته النفسية بحيث تصبح الصور مقنعة مؤثرة فقد صور ضياع أحلامه . ونماء أوهامه بقوله :

تناثرت في شعاب الحلم أوردتي ∴ وفي دماني نمت أشجار أوهامي

وهنا يريد أن يظهر مدي ما تعتمل به نفسه من ضياع الحلم العربي كما يظهر الوهم الذي يحيا فيه الناس .

وكذلك يصور وجود آلته الحربية دون الاستفادة منها :

والسيف والرمح في كفي من زمن ∴ لكنني لم أغادر موقع أقدامي

وكذلك يصور حال الحكومات العربية من اتفاق على تسليح الجيوش العربية وصرف الأموال الطائلة التي تثقل كاهل الدول ومع ذلك لم ير تقدما ولا نصرا بل ذلا وهوانا وعسفا من العدو ووحشيته وكأن الآلة ليس لها مهمة إلا في التدريب العسكري والعروض وهو في هذا يذكرني بقول الشاعر : -

رجال ما لها في الحرب نفع ∴ حكت صورا تصور في كتاب
رأيت قتالها من غير قتل ∴ كمثل الضرب في كتب الحساب

* * * * * * * * * * * * * * *

والصور الجزئية في القصيدة كثيرة منها على سبيل المثال لا الحصر (تحتمي باستواء الريح أشرعتي) ،

(الموج يقذفني أشلاء أنسام) (وفي تكسار المرايا حطمت سفني) .(وذي حدودك بالنيران مضرمة) .

(الارض تنبش عن أشلاء أقوام) ،(لهم قلوب بلا نبض يحركها) .(عيونهم من زجاج لا تري وهجا) .

أما عن عناصر الصورة فنلمح اللون في أورقت – شوهت من قوله :

فأورقت بالمنايا الحمر ساحتنا ∴ ولونت بدماء الحر أعلامي
وشوهت أوجه الأطفال يا وطني ∴ والموت طارد أطفالا بأرحام

أما عن الصوت فنلمحه في قوله – انفجار – طارد من قوله :

في حمأة الطين لا يحلو لهم نغم ∴ سوي انفجار الرزايا فوق أيتام

وقوله (والموت طارد اطفالا بأرحام) وأما عن الحركة فتكمن في قوله تناثرت – نمت في قوله : –

تناثرت في شعاب الحلم أوردتي ∴ وفي دماني نمت أشجار أوهامي

أما عن الرسم بالكلمات فالشاعر جدير بأن نقول عنه أنه استطاع أن يجسد مواقفه وأن يجعلها ماثلة أمام أعيننا فلو أن رساما أمسك بريشته لاستطاع أن يرسم قافلة عسكرية تقف على أبواب (مدائن الفجر) وهذه المدائن تستعصي على تلك القافلة ، وكذلك يستطيع أن يرسم من كل صورة حوتها القصيدة لوحة زيتية .

الخيال في القصيدة

لقد جاء الخيال في الأعم الأغلب قريب المأخذ والمأتي ، حسيا في كثير من صوره ، إلا أنه استطاع أن يصل الى معان طريفة وصور بديعة قد ساعدته الألفاظ على رسم صور طريفة ذات ألوان وأصباغ .

الأسلوب

أما عن اسلوب الشاعر في القصيدة فقد كانت أساليبه من النوع السهل الممتنع ، بعيدة عن الغرابة والإغراب والخشونة في ألفاظه وتراكيبه ومن ظواهر الأسلوب لدي الشاعر أنه كان زاهدا في المحسنات البديعية ، لم يستخدم منها الا ما جاء عفو الخاطر .

عناصر الطبيعة في القصيدة

أما عن عناصر الطبيعة في النص فلها عدة مظاهر التمسناها في أشجار ، خيل ، الليل ، البيداء ، مدار الجدي ، مدار السرطان ، خط الاستواء ، الصبح ، الارض ، الشطآن – الفجر – النموج .

الموسيقي الشعرية

أما عن الموسيقي الخارجية فلمسناها في الوزن والقافية حيث اختار لها بحر البسيط واختار لها الميم المكسورة قافية ورويا والتوافق الصوتي والنغمي والايقاعي وتماوج النغم .

أما عن الموسيقي الداخلية فقد اشتركت الموسيقي الخارجية في إحداثها فضلا عن الموسيقي الداخلية التي أحدثتها الألفاظ المنتقاة ، والعبارات الدقيقة الموحية ، والصور البديعية مما يمكن التماسه فيما ذكرنا من تحليل .

ثانيا : قصيدة غابت النار

والقصيدة الثانية التى تحدث فيها الشاعر عن العروبة ممثلة فى (بغداد) وهى بعنوان {غابة النار}

وهذه القصيدة وردت فى الديوان (مدائن الفجر) على صورتها الأصلية وهناك لها صورة أخرى حديثة أضاف إليها الشاعر بعض الأفكار والرؤى ممثلة فى الأبيات لذلك يكون إعتمادى فى هذا البحث على الصورة الجديدة التى يوجهها الشاعر إلى شعب العراق

القصيدة

١ـ حديقة النور أمست غابة النار ∴ لاظل فيها ....ولا ظلال قيثار
٢ـ شمس الحضارة فى أرجائها انطفأت ∴ وقصة البعث عادت بوح تذكار
٣ـ بغداد أين خطى المنصور مورقة ∴ بالمجد تسحق وجد الذهل والعار؟؟
٤ـ أين الرشيد...وسيفالعدل فى يده ∴ يرد (نقفور) عن أهلى وعن دارى؟؟
٥ـ أين المنارات والمأمون يشعلها ∴ فكرا يفيض بجنات.....وأنهار؟؟
٦ـ وأين معتصم تختال قبضته ∴ بصارم من سيوف الله بتار؟؟
٧ـ وأين أين ؟ ولا جدوى ففى زمنى ∴ الفلك تغرق فى طوفان غدار؟؟
٨ـ لا عاصم اليوم من سيل الدمار سوى ∴ سفينة الحق تردى كل جبار

* * * * * * * * * * * * * * *

التحليل

ابتدأ الشاعر قصيدته بلوعة حرى تعكسها الحسرة التى بدت من تذكره لبغداد الأمس عاصمة العلم والحضارة وشمسهما التى تغيب ،وما آل إليه حالها فبعد أن كانت حديقة النور وبستان المعرفة ، ومنارة الدنيا بأسرها وأصبحت غابة موحشة ولا يتفيأ ظلها ولم يبق فيها أثر لحياة النعيم والترف ممثلة فى آلات الموسيقى وقيثارتها ، ثم تنداح دائرة الحسرة المرة ، لأن بغداد الحضارة صارت خرابا يبابا ، والشاعر فى هذا المطلع نراه وفيا للمطالع الشعرية القديمة ، وهذه واحدة من مظاهر ارتباط الدكتور/صابر بتاريخه الشعرى وفاء وحيا والشاعر يرى ان بغداد أصبحت أطلالا

بعد أن أصابها ما أصابها من حروب مستمرة ودمار بيد حكامها أو بيد المحتل الطامع الغاشم , ...كما أن بكاءالأطلال والوقوف حيالها ، وبكائها واستبكائها وإنطاقها واستنطاقها كل ذلك ورد على لسان الشعراء قديما لدرجة أن شكلت الأطلال جزءا من حياة الشعراء العاطفية والنفسية ، فشخصوها واندمجوا فيها يحاورونها بل ويأمرونها ، أو يستعطفونها لتتكلم وتفصح لعل فى ردها إطفاء لجوى القلب المستعر على نحو ما قال عنترة:-

يادار عبلة بالجواء تكلمى ∴ وعمى صباحا دار عبلة واسلمى

ويتجاوز عشق الأطلال والإمتزاج للعصر الجاهلى فنرى ذلك فى شعر شعراء المسلمين ولكنهم لا يكتفون بالوقوف أمام الأطلال وبينها ، بل إنهم ليجعلونها فى حضور دائم فى الخاطر والقلب معا على نحو ما ذكر الشريف الرضى فى أبياته :-

ولقد مررت على ديارهمو ∴ وطلولها بيد البلى نهب
فوقفت حتى ضج من لغب ∴ نضوى ولج بعزلى الركب
وتلفتت عينى فمذ خفيت ∴ عنها الطلول تلفت القلب

ومن الشعراء من يدعوا على نفسه إن لم يقف على الأطلال وما هذا إلا تأصيل لمنهج العرب وتمسك به يقول المتنبى :-

بليت بلى الأطلال إن لم أقف بها ∴ وقوف شحيح ضاع فى التر خاتمه

وكان هذا ردا على أبى نواس فى منهجه الذى دعا فيه إلى التخلى عن البكاء على الأطلال[1] وبعد أن صور لنا الشاعر ما آل إليه حال بغداد وجدناد يعدد رموز الحضارة والعلم فى بغداد والدولة الإسلامية ممثلة فى الخليفة المنصور والخليفة الرشيد ، والمأمون . والمعتصم وغيرهم . فالخليفة المنصور دانت له الدنيا وخضعت لسلطانه أمم وحضارات عريقة فقد ولى الخلافة بعد أبو العباس

(١) راجع فى ذلك كتاب نفحة ذكية من نصوص عباسية د/ بدر الدين سليمان صـ٢٦ :٢٩ .

السفاح والمنصور يعد هو المؤسس الحقيقى للدولة العباسية ، فقد ظل فى الخلافة أكثر من عشرين عاما من سنة ١٣٦هـ - ١٥٨هـ، وقد اتخذ من بغداد عاصمة لملكه وحاضرة لدولته ، وما كان ذلك إلا ليأمن على نفسه من ثورات الطويين فى الكوفة إذ أنها مركزهم القديم وحتى يأمن على جنده من الفساد إذا ما خالطو أهلها وكذلك اختار بغداد لقربها من خرسان مركز الدعوة ومن أسباب اختيار بغداد أيضا حاضرة لدولته ثورة الرواندية

والرواندية هم : نفر من شيعة المنصور كانوا يؤمنون بتناسخ الأرواح وكانوا قد اجتمعوا بالهاشمية فى الكوفة وأعلنوا أن المنصور ربهم فلما نهاهم عن ذلك وعن سوء معتقدهم تدافعوا إليه كالموج وكادوا يفتكون به لولا دفاع معن بن زائدة الشيبانى عنه وحسن بلائه[1].

ومن ثم أصر المنصور على بناء حاضرة جديدة لدولته على الضفة الغربية لدجلة هى (بغداد) وقد وضع أول لبنه فيها بيده قائلا : بسم الله والحمدلله ، والأرض لله يورثها من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين وظل البناء قائما بها حتى عام ١٤٩هـ وسماها (دار السلام) أخذا من قوله تعالى ﴿ ۞ لَهُمْ دَارُ ٱلسَّلَٰمِ عِندَ رَبِّهِمْ وَهُوَ وَلِيُّهُم بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴾ صدق الله العظيم

وبهذا الاسم كانت تضرب النقود العباسية[2]

وقد بنى المنصور أيضا (الرصافه) وشجع العلوم ، وترجمة الآثار العريقة للأمم فى الثقافة والحضارة ، وكان متقدما فى علم الكلام داهية أديبا مصيبا فى رأيه ، وكانت دولته من أحسن الدول

(١) تاريخ الطبرى جـ٦ صـ١٤٧

(٢) العصر العباسى الأول د/ شوقى ضيف صـ١٦ طبعة دار المعارف .

موقعا ، وأوسعها رقعة ، بيد أنها صبغت فى عهده بالصبغة الفارسية.

وتولى بعد المنصور إبنه (المهدى) وفى عهده ازدهرت الحضارة وشاع الترف ، وتقدمت العلوم والفنون والآداب وعاش فى كنفه كثير من العلماء والشعراء ، وقد كان جوادا كريما سخيا ، وقد عرف بقوة النفوذ وشدة البطش وقد نكل بالزنادقة وتوفى سنة ١٦٩هـ فخلفه ابنه الهادى الذى لم تطل مدته فقد ظل فى الخلافة سنة واحدة وفيها سارعلى سنة والده فى تتبع الزنادقة وقتلهم وتوفى سنة ١٧٠هـ فخلفه أخوه هارون الرشيد الذى امتد خلافته حتى سنة ١٩٣هـ ويعد عصره العصر الذهبى للخلافة العباسية بما بلغته من أبهة الملك وفخامته ولا تزال ذكراه حيه فى نفوس العرب إلى اليوم[١] .

وقد حفلت بغداد فى عصره بالعلماء من كل صنف والمترجمين والأطباء والشعراء والمغنيين والمغنيات والجوارى من كل جنس ولون وكان يحيا حياة الترف والتنعم ، محبا للحياة ومتعها مع إلتزامه بالواجبات الدينيه، وكان الرشيد من أفاضل العلماء والخلفاء. وكان يحج سنه ويغزو سنة كذلك مدة خلافته إلا سنين قليلة وكان يصلى فى كل يوم مائة ركعة وحج ماشيا ، وكان إذا حج حج معه مائة من الفقهاء وأبناؤهم ولم ير الخليفة أسمح منه بالمال ، وكان يحب الشعر والشعراء ويميل إلى أهل الأدب والفقه[٢].

وكان مع ذلك فطنا ذكيا وداهية أريبا ذا شخصية قوية وبطش شديد ذلك أنه لما شك فى إخلاص البرامكة جمعهم ونكبهم نكبتهم الشهيرة سنة ١٨٧هـ ولما امتنع (نقفور) امبراطور بيزنطة عن

(١) نفسه.
(٢) الفخرى فى الأداب السلطانية والدول الإسلامية صـ١٤٣ .

أداء الجزية التى فرضت على بلاده فى عهد المهدى ، وطالب الرشيد رد ما حصلوه منها فى السنوات الماضية رد علية الرشيد ردا عنيفا وكتب على ظهر كتابه { بسم الله الرحمن الرحيم ، من هارون الرشيد أمير المؤمنين إلىنقفور كلب الروم قد قرأت كتابك يابن الكافرة والجواب ماتراه دون أن تسمعه والسلام}[1] .

وقاد الرشيد جيشه واخترق آسيا الصغرى وغنم مغانم كثيرة وافتتح هرقلة ، فارتاع ملك الروم وفزع فزعا شديدا وتعهد بأداء الجزية صاغرا وكانت وفاتة سنة ١٩٣هـ بطوس وهو فى طريقة إلى رافع بن الليث لإخماد ثورته وتولى الخلافة بعده ابنه (الأمين) سنة ١٩٣هـ إلى ١٩٨هـ ثم تولى المأمون سنة ١٩٨هـ إلى ٢١٨هـ.

وعصر المأمون يعد من أزهى العصور فى الدولة العباسية ، فقد كان حر الفكر شغوفا بالمعرفة قد جعل من مجلسه ندوة علمية يتحاور فيها ويتناظر الفقهاء والمتكلمون والعلماء من كل فن وشاعت فى أيامه فكرة القول بخلق القرآن ، وجعل منها المأمون عقيدة رسميه للدولة وأعلن أن من لم يقر من الفقهاء بخلق القرآن يحبس ويضرب كما ضرب الأمام أحمد بن حنبل ، وقد حدث فى عصر المأمون ثورات كثيرة كان يعمد فى أخمادها إلى قواده الأكفاء من أمثال طاهر بن الحسين وأولاده من بعده ، وقد نبغ فى عهده فحول المفكرين والفلاسفة والعلماء والشعراء والأدباء وازدهرت حركة الترجمة ونقلت الثقافات الأجنبية إلى اللغة العربية ، وقد زاد نفوذ الفرس فى عهده لأنهم هم الذين ولوه الخلافة بعد أن قتلوا أخاه الأمين.

(١) تاريخ الطبرى جـ٦ صـ٥٠١ .

ولما مات المأمون سنة ٢١٨هـ خلفه أخوه (المعتصم وكان عسكرا بنشأته وميوله ، فلما خاف الفرس قرب إليه الأتراك واسكثر منهم وقوى نفوذهم فى الدولة وساءت معاملتهم لأهل بغداد حتى جأروا بالشكوى إلى المعتصم فرحل معهم عن بغداد وبنى لهم مدينة (سامر) منحوتة من (سر من رأى) واتخذها عاصمة لملكة وأقام معهم فيها[1] ولقد أخذ هؤلاء الأتراك يجمعون السلطة فى أيديهم حتى اشتد نفوذهم وتوفى المعتصم سنة ٢٢٧هـ.

من أجل هذا كله وجدنا الشاعر يخاطب بغداد متسائلا متحسرا (أين خطى المنصور) وأين (الرشيد) وما فعله مع (نقفور) (أين المأمون) ذا الرأى والفكر الحر وأين المعتصم ذلك المحارب القوى إذن كأن الشاعر ينظر إلى الواقع يمس كبد الحقيقة نراه يسأل بل نراه لا يكتفى بسؤال بل يكرر ويجاور الاستفهام (أين أين) ثم يعقبها بقوله (ولا جدوى) وفى نهاية المقطع يريح نفسه وقارىء عندما يقول:-

لا عاصم اليوم من سيل الدمار سوى ∴ سفينة الحق تردى كل جبار

ونراه فى اللوحة التالية يتعامل مع مدائن العرب جميعا وليست بغداد وحدها لأن مدائن العرب أصبحت لقمه مستساغه لا تستعصى على طاعم وهم لا يريدون لنا سلاما فالسلام أصبح غريبا فى هذه المدائن لأن الغزاة عتاة جاءونا جياعا يلتهمون أرضنا ومقدراتنا ونحن لا ننسى غضبة الثأر والبصرة بلدة يسكنها الشيعة هبوا لاغتيال زعيمهم بعد أحداث غزو الكويت ولكن ليس لهم نصير خارجى ومع كل هذا فبغداد العريقة ذات الحضارات رافضة لكل ما يجرى فى ساحتها وعلى أرضها ونهر الفرات ماؤه هادر مخلوط بدد الأحرار والمخلصين من أبناء الوطن يصور الشاعر إذ يقول :-

---

(١) مروج الذهب للمسعودى جـ٢ صـ٢٤٩ .

٩- وجه السلام غريب فى مداننا ∴ وللغزاة فحيح كاسر ضار
١٠- هبو جياعا وفى بيداننا غرقوا ∴ ولم تمت فى دمانا غضبة الثار
١١- والبصرة انتفضت تغتال غاصبها ∴ لكن بلا شيعة تحمى وأنصار
١٢- ولم تزل للردى بغداد رافضة ∴ تشدوا بآفاقها أسراب أقمار
١٣- وللفرات هدير مانج بدم ∴ يجرى بأصلاب شعب حف بالغار

وبعد أن تحدث الشاعر عن ما يجرى على الساحة العراقية اليوم نجده يعاود بنا إلى تصوير أفظع وأشنع حادثة على مدى تاريخ المسلمين ألا وهى مقتل سيد شباب أهل الجنة وسبط الحبيب محمد سيدنا الإمام (الحسين) فكربلاء جرت على أرضها دماء الحسين بن على وأتباعه على أيدى الطغاة من أتباع يزيد بن معاوية فجراح آل البيت عبر عنها الشاعر بأنها جراح الحق هذه الجراح نازفة فى نفوس المسلمين وهى اليوم تموج بالثورات العاتية فإن كان دم الحسين قد أريق على أرض كربلاء فإن قارىء التاريخ يجد أن أرض العراق غرقى بدماء أبناء المسلمين على مدى التاريخ والخائنون من قتلة الحسين وغيرهم على مر التاريخ قد توجوا بتاج من القار فالحسين سقاهم الحب والإيمان والرحمة وهم سقوه نارا لهيبا شديدا وأعداء الحسين منتشون بما حققوه من نصر فى زعمهم ثم يصور الشاعر ما قام به اليزيد عندما جاءه القتلة برأس الحسين فكان يلهو بها ويلعب مع غلمانه وسماره وهو بهذا قد وصل إلى قمة الطغيان والجحود فأخذه الزهو والإكبار

يقول الشاعر مصورا هذه الحادثة:-

١٤- فى كربلاء جراح الحق نازفة ∴ وموجها اليوم عات مثل إعصار
١٥- دم الحسين... دم التاريخ يغرقنا ∴ والخائنون ارتدوا تاجا من القار
١٦- سقاهم الحب إيمانا ومرحمة ∴ وهم سقوه لهيبا كافر النار
١٧-(يزيد)يشرب نخب النصر منتشيا ∴ والأرض ملآى بآثام وأكدار
١٨- رأس الحسين له كأس معتقه ∴ يلهو بها بين غلمان وسمار
١٩- يطل من أفق الطغيان ممتشقا ∴ سيف التسلط فى زهو وإكبار

ويعد هذه اللوحة المؤلمة التى تصور أعصب وأصعب فترة حالكة من تاريخ العراق والمسلمين نرى الشاعر يصور لنا ما يحاك للأمة العربية التى منيت بالمصائب فى مقتل الحسين كذلك منيت بالمصائب فى زمن (النفط) الذى أغرق العراق بالأموال وعندها ظن حكام هذا القطر العربى أن المجد آت ومحقق وظن حاكمها الطاغى أن المجد يعطيه الراية وكأنه فى يوم ذى قار وهو يوم من أيام العرب وصار هذا الحاكم يتجرع كئوس المجد ممثلة فى النفط وهو لم يعلم أنه على شفا حفرة من صخور القهر وأن القهر سيزيل دولته فقد استعملوه فى تدمير مقدراته ومقدرات المسلمين البشرية والعسكرية (إشارة إلى حرب إيران وحروبة الداخلية وقتله لأكراد العراق) والنفط نعمة الله أنعم بها على العرب والمسلمين حتى أن الله جعل بأيديهم مقاليد الأمور على العالم كله لو أنها استعملت فيما وضعت له إلا أن استعمالها الخاطىء جعل الشاعر ينظر إليه على أنه بركان يدمر أمة العرب والمسلمين وعندها تصبح بغداد مطمعا للمحتل الغاشم فتنهال عليها المطامع ويدبرون لها المكائد ويدسون عليها الدسائس فيتحد الطامعون تحت مسميات وشعارات جوفاء لا أصل لها مثل (حماة العالم من الإرهاب) وهم الإرهاب بعينه.

يصور ذلك شاعرنا فيقول:-

٢٠- والنفط بحر من الأوهام سجره ∴ وراح يسبح فى بركان دولار
٢١- وظن أن بروق المجد صاهلة ∴ تعطية رايته فى يوم ذى قار
٢٢-وصار يحسو كئوس(النفط)وهو على ∴ شفا غد من صخور القهر منهار
٢٣- والنفط جوهرة سوداء نشعلها ∴ فى كل درب يخطو المجد موار
٢٤- أيصبح النفط بركانا يدمرنا ∴ وجنة العصر تغدو فوق أحجار؟؟؟

وبعد هذه اللوحة المصورة والمجسدة لآلام الأمة نراد يفصل لا أقول ما حدث للعراق وأهله فحسب بل ما حدث للأمة العربية والإسلامية جمعاء يصور ما آل إليه حال المسلمين بعد أن احتل الغاشم أرض العراق قسم أموالها واستباح حرماتها وسفك دماء

أهلها ومن هرب من طوفان الاحتلال والسفك والهدم أغـرق بنـار . . صحراء عشتار:-

{ وعشتار هذه هى إله يعبد عند الآشوريين}

هؤلاء الهاربون من وجه الاحتلال استجاروا إلا أنه لا مجيـر لهم إلا التيه والضياع فهو منجدهم ثم يتس٫ل الشاعر وكأنـه ينـدد بسياسة العالم بأسره حيال العراق وما حدث له وفيه ، فهل يظلـون بلا دار ولا مأوى ثم ينداح الشاعر فى دائرة الحسـرة علـى واقـع العرب والمسلمين المر حيث أنهم عندما كشر المحتل الغاشـم عـن أنيابه استجار العرب بالدول التى لها مصالح عندهم إلا أن الشاعر قد وصف فأحسن الوصف عندما قال:-

والمستجير بعمرو عند كربته ∴ كالمستجير من الرمضاء بالنار

والمحتل الغاشم قد ضرب سورا من النار حول حدود المسلمين فى العراق ، فمتى نجد هذا القطر الشقيق من غير أسوار ؟ وأنا أرى أن الشاعر فى هذا الاستفهام يلقى باللائمـة علـى العـرب حكامـا وشعوبا عندما تشرزموا ولاءه بعد ما رأى من سقوط العروش راح يطن ولاءه ويتمنى رضاء المحتل عليه مهما كلفه ذلك وعندها تمزق جسد الأمة الموصول من زمن بعيد وبيعت أرضه واستبيح عرضـه والغريب أنه باع كل ذلك وكان المشـترى هـو الجانى يصور ذلك فيقول:-

٢٥- والهاربون من الطوفان يحـرقهم ∴ قيظ المتاهات فـى صحراء عشتار[1]
٢٦- هم استجاروا وكان التيـه منجـدهم ∴ فهـل يظلـون فـى تيـه بـلا دار؟؟
٢٧- والمستجير (بعمرو) عند كربتـه ∴ كالمسـتجير مـن الرمضـاء بالنـار
٢٨- سور من النار يغشى وجه رؤيتنـا ∴ متـى تعانقهـا مـن غـير أسـوار
٢٩- تمزق الجسد الموصول من زمـن ∴ وبيعـت الأرض والجـانى هـو الشارى

(١) عشتار هى إله يعبد عند الآشوريين فى بلاد بابل العـراق وهـى زوجة آشور كبير آلة الآشوريين.

ونراه فى اللوحة التالية يصور لنا ما أحدثه الاحتلال البغيض وما آل إليه حال العراق فالاحتلال هو (هولاكو) العصر وكأن التاريخ يعيد نفسه فالكفار هم الكفار وعداؤهم للإسلام والمسلمين باق ما دامت الحياة ﴿ لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِّلَّذِينَ آمَنُوا الْيَهُودَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا ﴾ (١) وليس على المسلمين إلا أن ينتبهوا لذلك ويعملوا يقول الله تعالى حتى تكون لهم الغلبة على عدوهم فهاهو هولاكو العصر قد أتى إلى أرض العراق ومن قبله كانت سلسة من الكيد للعراق متمثلة فى فرض الحصار وحرب عاصفة الصحراء وغيرها من هجمات تتارية عاتية فعواصف الاغتيالات والقتل التى تقتل كل أمل فى نفوس العرب والمسلمين وهدمت أركان الدولة وقوضت عمدها وهوت عناقيدها فى كل مكان من أرض العراق حتى غدت جنة الله فى العراق بلا ظل ولا أشجار فالأبنية تهوى وتهدم والأطفال فزعة صارخة من هول ما تقع عليه أعينهم والعالم مكتوف الأيدى متفرج لا يحرك ساكنا وكأنه راض عن كل ما يحدث لشعب العراق وهو بهذا يفقد إنسانيته ويوصم بالعار وهم آكلوا لحوم البشر ومصاصى دماءهم لذلك هم منتشون لأنهم أمطرونا بوابل من صواريخهم وقنابلهم الفتاكة وهدموا الدولة بعد إعمارها لذلك أصبحنا لا نرى فيها إلا أحجار وأطلال ومما زاد الطين بله أن جسد العرب ووحدتهم الموصوله من زمن بعيد قد تمزقت وتفرق جمعهم وبيعت أرضهم وقد اشتراها العدو الغاشم وفى النهاية يختم الشاعر قصيدته بما به بدأ وكأن ما بين البدأ والنهاية ساحة قواره موارة تعتصر من أحداثها القلوب وتدمى من مصائبها العيون إذ يقول:-

٣٠- وعاد بالبطش هولاكو ...وتسبقه ∴ عواطف الموت تغتال السنا السارى
٣١- تهوى عناقيده فى كل زاوية ∴ حتى غدونا بلا ظل وأشجار
٣٢- تهوى البنايات والأطفال صارخة ∴ ويضحك العالم الموصوم بالعار
٣٣- والشاربون دماء العصر قد سكروا ∴ وأمطرونا شظايا بعد إعمار
٣٤- تمزق الجسد الموصول من زمن ∴ وبيعت الأرض والجانى هو الشارى

(١) سورة المائدة آية ٨٢ .

٢٥ـ ودوحة النور أمست غابة النار ∴ لا ظل فيها ولا أطلال قيثار
٢٦ـ شمس الحضارة في أرجائها إنطفأت ∴ وقصة البعث عادت بوح تذكار
٢٧ـ ولم تزل للردى بغداد رافضة ∴ تشدوا بأفاقها أسراب أقمار

وهذه القصيدة وإن قصد بها الشاعر بغداد العروبة وأهداها إلى شعب العراق وحضارته الخالده لأنها صاحبة النصيب الأوفى والأوفر فى المصائب والحروب والقهر إلا أنها موجهة لأبناء العروبة كى يفيقوا من غفلتهم ويتنبهوا من غفوتهم ويثوبوا إلى رشدهم ويتنبهوا أن لا حل لمشاكلهم إلا بأيديهم فإن صرخ طفل فى العراق جاوبه أطفال مصر والعالم العربى فالأقطار مختلفة والقلب واحد والجسد واحد لذلك عبر الجارم عن هذه المعانى فى قصيدته بغداد إذ يقول :-

بغداد يا بلد الرشيد ∴ ومنارة المجد التليد
ياسطر مجد للعرو ∴ بة خط فى لوح الوجود
يامغرب الأمل القديـ ∴ م ومشرق الأمل الجديد
بغداد إنا وفد مصـ ∴ ر نفيض بالشوق الأكيد
أهلوك أهلونا وأبـ ∴ ناء العشيرة والجدود
بين القلوب تشوف ∴ كتشوف الصب العميد
حتى يكاد يجب نخـ ∴ لك نخل أهلى فى رشيد
شطت منازلنا فما احـ ∴ تاج الفؤاد إلى بريد
الرافدان تمازجا ∴ فى الحب بالنيل السعيد
وتعانق الظلان ∴ ظل الطاق[1] والهرم المشيد[2]

العاطفة

لا يخلوا أى عمل أدبى من عاطفة وإلا حكم عليه بعدم الصدق الشعورى ولقد وضحت العاطفة فى هذا النص وضوحا تاما ولو أننا أردنا أن نتعرف على لون العاطفة عنده فى هذا النص لوجدانها من النوع الغائم الذى ينقل بأمانة دخيلة الشاعر وظلت عاطفته على هذا اللون حتى نهاية القصيدة فقد بدأها بقوله:-

حديقة النور أمست غابة النار ∴ لا ظل فيها ولا أطلال قيثار

(١) الطاق هو إيوان كيسرى وهو قريب من بغداد.
(٢) ديوان الجارم جـ٢ صـ١٢٩ .

وجه السلام غريب فى مداننا ∴ وللغزاة فحيح كاسر ضار
ولم تزل للردى بغداد رافضة ∴ تشدوا بآفاقها أسراب أقمار
سور من النار يغشى وجهه رؤيتنا ∴ متى نعانقها من غير أسوار

* * * * * * * * * * * * * * *

الصورة الشعرية فى القصيدة

أولا:- إذا أردنا أن نتبين الصوره الكلية فى القصيدة فهى مكثفة فى العنوان ومبسوطة فى المضمون الذى حوته ألفاظه.

ثانيا:- أما عن الصور الجزئية فى القصيدة فصوره الجزئية تنوعت بين المألوفة والطريفة والشاعر بذكائه وقدرته صير المألوف طريفا والطريف مألوفا أيضا فقد جاءت صوره مقتعه مؤثرة فى ذات الوقت أنظر إليه إذ يقول:

لا عاصم اليوم من سيل الدمار سوى ∴ سفينة الحق تردى كل جبار

حيث جعل للدمار سيلا وجعل للحق سفينة

وقوله:-

وجه السلام غريب فى مداننا ∴ وللغزاة فحيح كاسر ضار

وكذلك قوله :-

هبوا جياعا وفى بيداننا غرقوا ∴ ولم تمت فى دمانا غضبة الثار

وقوله :-

يطل من أفق الطغيان ممتشقا ∴ سيف التسلط فى زهو واكبار

وقوله :-

وظن أن بروق المجد صاهلة ∴ تعطيه رايته فى يوم ذى قار

وقوله :-

والشاربون دماء العصر قد سكروا ∴ وأمطرونا شظايا بعد اعمار

الخيال فى القصيدة

لقد جاء الخيال فى القصيدة فى الأعم الأغلب مسطحا قريب المأخذ والمأتى حسيا فى كثير من صوره إلا أنه استطاع أن يصل

إلى معان طريفه وصور بديعه وقد ساعدته الألفاظ على رسم صور طريفة ذات ألوان وأصباغ.

الأسلوب

أما عن الأسلوب فقد كان سهلا ممتنعا بعيدا عن الخشونة والغرابة والإغراب فى ألفاظه وتراكيبه مما يؤكد أن الشاعر ابن عصره حيث لا غرابة ولا إغراب ولا تقعر ولا تكلف.

ثالثا :- قصيدة السفينة والطوفان

وهذه القصيدة تحدث فيها الشاعر عن العروبة مجتمعة رامزا للعروبة بـ (السفينة) وللمحتل الغاشم والعدو الذى لا يهدأ بـ(الطوفان) وهذه القصيدة وردت فى مدائن الفجر

والتى مطلعها :-

واصلى السير ياسفينة نوح ∴ إن ربانك الذى غاب حى

التحليل

يفتتح الشاعر قصيدته بنداء الأمة العربية رامزا لها (بسفينة نوح) فيقول موجها الخطاب للأمة أن تواصل السير والعمل فقائدها الذى غاب لفترة هو حى فهى أمه ولاده أليست هى منجبة خالد بن الوليد وعمر بن الخطاب وعمرو بن العاص ، وعقبة بن نافع ، وصلاح الدين الأيوبى ، وإذا كان اليأس ، وصد هجمات العدو ، وحماية العز العربى التليد ، ولابد وأن تعمل الأمة على إبادة الطوفان فى عز وعنفوان يزيل آثار الاعتداء عن حمى العروبة والشاعر يدرك صعوبة الموقف العربى وأن النصر لازال بعيد المنال ولكن فى سبيل بلوغه يهون كل نفيس وغال وطريق النصر يعد رحلة الكرامة فلا عليك إلا أن تمضى فى طريقك ولا يصدنك عنه صاد ، فلابد أن يصرع الخوف بالصمود والقوه ، ولابد من التجلد والعزيمه الماضية التى من خلالها يكون النصر الخالد.

ثم يتابع الشاعر الحديث إلى الأمة فيحضها على أن تبدد اليأس وتسير نحو النصر ففيه العزة والكرامة ، وعليك بالتوحد وجمع الشمل واتحاد الكلمة والهدف ، والشاعر ومعه كل غيور على الثرى العربى يخاف غدر الطوفان الذى يغرق كل الأبناء فى خضم التشرزم والتفرق والعصبية .

يقول الشاعر :-

١ - **واصلى السير ياسفينة نوح ∴ إن ربانك الذى غاب حى**

٢ـ مزقى ظلمة الخطوب وصدى ∴ زحفها واحمى عزك السرمدى
٣ـ وأبيدى الطوفان فى عنفوان ∴ يحسر الموج عن حماك الفتى
٤ـ لم يزل شاطىء الأمان بعيدا ∴ دون مرساك كل عمر زكى
٥ـ إنها رحلة الكرامة فامضى ∴ واصرعى اللج بالصمود القوى
٦ـ واعصرى العزم ثورة واحتسيها ∴ ثم شقى طريقك الأبدى
٧ـ بددى اليأس من خطاك وسيرى ∴ نحو فجر الكرامة العبقرى
٨ـ ضمدى الجرح ليس يعصم إلا ∴ وحدة الصف للثرى اليعربى
٩ـ خفت غدر الطوفان أن يغرق الأبـ ∴ ـناء فى ليل فرقة عصبى

وبعد هذه اللوحة التى يخاطب فيها أمة العرب ويدعوها إلى الجد والإجتهاد والعمل وعد الإستسلام لما يحاك لها ، نراد يفصل فى اللوحة التالية ما حدث للأمة فى عراقها وفلسطينها ولبنانها ، وغيرها من فروع الشجرة المورقه التى كادت أن تزبل أوراقها بسبب فرقه وشتات أبنائها فحدود الأمه العربية مهددة بالدمار أشار إلى ذلك بقوله:

جبل الجوادى اعتلاه ضباب ∴ وجليد أخفاه عن ناظرى

فالعراق هى بوابة العرب الشرقية وجبل الجودى : هو جبل فى الجزيرةبقرب الموصل فى شمال العراق ، ومن كثرة ما جرى على العراق من أحداث وحروب أصبح الشاعر لا يرى فى جوها إلا الضباب وعلى قمة جبالها ضاعت معالمها تحت جليد السياسة ، وإن كانت طبيعة شمال العراق يكسو جباله الجليد والثلوج

ولكن الشاعر يرمز إلى السياسة نحو العراق ، وأصبح لا يرى فى الآفاق العربية إلا اليأس ، والرجاء بعيد المنال فكل من نادى بالسلام من خارج أمة العرب لم يأت بسلام حقيقى بل يأتى بما يعمق الخلاف ويوسع الهوه والشاعر يشير إلى من يأتى بخطط غربية زعموا وأوهموا حكام العرب أن فيها الحل والخلاص ولكن أنى لهم ذلك فبشير السلام جاءنا بحقيبة فى يديه تنام فيها أوراق تحتوى على سر المأساة وليس الحل ، فيهم ينادون بالسلام فى كل المحافل

ويعقدون المؤتمرات من أجل السلام وما هى بسلام ، فالسلام أصبح شعارات تطلق أو هو ألعوبة تحركها الأطماع ، وباسم السلام صار الوطن العربى فى بئر الصراع المدمر يصور الشاعر ذلك إذ يقول:-

١٠- جبل الجودى[1] اعتلاه ضباب ∴ وجليد أخفاه عن ناظرى
١١- وأرى فى الآفاق أشباح يأس ∴ وشراع الرجاء عنها قصى
١٢- وبشير السلام لم يأت بالزيـ ∴ ـتون بل جاء بالخلاف العصى
١٣- فى يديه حقيبة نام فيها ∴ سر مأساتنا البعيد الخفى
١٤- دار فى كل محفل ينثر الأ ∴ راء.... مثل المثل المسرحى
١٥- جاء فى جولة وعاد لأخرى ∴ ثم ذابت وما قضى أى شيىء
١٦- وكأن السلام ظل كلام ∴ يتحداه ضوء خطو عتى
١٧- وكأن السلام عذراء تمشى ∴ فى طريق الأشواك بين العصى
١٨- صار ألعوبة تحركها الأطـ ∴ ـماع فى مسرح الأسى العالمى
١٩- باسمة صار موطنى الحر فى بئـ ∴ ـر الصراع المدمر الدموى
٢٠- فإذا الويل فيه ينهش كالذئـ ∴ ـب الذى راح ينهش .... الأدمى

* * * * * * * * * * * * * * *

وبعد أن صور الشاعر السلام العالمى المزعوم على أنه شعارات لا أصل لها ، ودعاة السلام هم منبع الشر وأساه نجده فى اللوحة التالية يمجد الفداء والشهداء ففى أرض فلسطين تعالت أصوات المجاهدين مرددين أن من مات دون أرض وعرضه فهو حى وفيه إشارة إلى قوله الحق جل وعلا ﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتًۢا ۚ بَلْ أَحْيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴾[2] وقوله ﴿وَلَا تَقُولُوا۟ لِمَن يُقْتَلُ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتٌۢ ۚ بَلْ أَحْيَآءٌ وَلَٰكِن لَّا تَشْعُرُونَ ﴾[3] ودم الشهداء فى كل شبر من أرض العروبة يدعوا إلى الفداء والإستبسال والثأر من كل مدعى

(١) جبل الجودى هو جبل فى الجزيرة بقرب الموصل من شمال العراق.
(٢) سورة آل عمران آية رقم ١٦٩ .
(٣) سورة البقرة آية رقم ١٥٤ .

للحرية والسلام وهو الشر بعينه ، فهم مع دعوتهم للسلام الأجوف يحرقون رياضنا ويدمرون مدائننا تحت إسم محاربة الإرهاب وهم الإرهاب بعينه ، من حروبهم واعتدائهم وأسلحتهم الفتاكه عشش الذر فى بطون بناتنا ونسائنا فشوهت أجنتنا وأطفالنا ولا ذنب لهم فالسبب فيه هذه الأسلحة التى يطلقون عليها أسلحة الدمار الشامل شوهت أوجه الأطفال وجاء بعضهم ضرير وبعضهم كسيح أو بلا عقل أو بأنفين أو بخمس أياد أو له رأسين أو توأم ذا رأس واحده أو طفل فقد أكثر أعضاءه وهذه الأسلحة الفتاكة تعد وصمة عار فى جبين العلوم التى سخرها العلماء للشر ولضرر البشرية بدل أن تكون لصالحهم وصلاحهم يصور الشاعر ذلك فيقول:-

٢١- فى ثرى (هورشيم) صاحت ألوف ∴ من قضى دون عرضه فهو حى
٢٢- ودماء الشهيد فى كل شهر ∴ أنبتت دوحة الفدا الملحمى
٢٣- لم تزل تحرق المآسى رياضا ∴ شوهتها حروب عصر غبى
٢٤- عشش الذر فى بطون العذارى ∴ فإذا بالجنين غير سوى
٢٥- أى ذنب جناه طفل برىء ∴ فيرى بيننا بوجه شقى
٢٦- ربما عانق الوجود كسيحا ∴ أو ضريرا أو ذا هلا أو عيى
٢٧- أو بأنفين أو بخمس أياد ∴ أو برأسين أو بلا أى شىء
٢٨- أنها وصمة العلوم ووجه الـ ∴ ـعقل فى درب فكره التترى
٢٩- سلم فى الحياة غير شريف ∴ شاده من دم الضعاف القوى

****

وفى اللوحة التالية نرى الشاعر يستدعى التاريخ ويستحضره وكأن الحرب بين العرب وغيرهم هى حرب الفرس والروم ، وكل من يدعى صالح العرب فى هذه الأيام مخادع ثعلب إن قدم لنا حلا نجد فى طيه السموم الناقعات أو يدعى مناصرتنا فنصرد لولبى يملوذ الخداع والمكر فهم كم صبوا نار هلاكهم على العرب وكم محوا نشوة فرح وابتهاج عندنا فهم يعطونا الأمل ثم نفاجىء بمصيبة أو هى من سابقتها وكأنى بالشاعر أحمد شوقى إذ يقول:-

عادت أغانى العرس رجع نوا ∴ ونعيت بين معالم الأفراح
كفنت فى ليل الزفاف بثوبة ∴ ودفنت عند تبلج الإصباح

وأخذ الشاعر يعدد مصائبهم على الغرب ففى بيروت حدثت مجازر بشرية حتى أن الأطفال من صعوبة المواقف كانوا يروا حتفهم وهم أحياء وفلسطين ما هى إلا ألعوبة فى أيديهم تتلوى فى قيودهم انمدمرة ففلسطين قد بيعت فى سوق السياسة وبعد بيعها قد منوا أهلها بحرية مزعومة وبعد أن خاب أمل العرب فيهم صارت جنة الأماني لهيب من كثرة ما يقع على أرضها من دمار وخراب وقتل واستشهاد وأصبح النصر سراب والعزة والإباء قد نسيهما العرب لكثرة ما توالى عليهم من ضربات موجعة موجهة إلى قلب العرب ومع ذلك لا يحركون ساكنا بل يزدادون خلافا وفرقة مما يطمع عدوهم فيهم وحالهم يذكرنا بقول الشاعر:-

إلام الخلف بينكم إلا ما ∴ وهذى الضجة الكبرى علاما
وفيما يكيد بعضكم لبعض ∴ وتبدون المودة والوئاما

فحال العرب جرأ الضياع الجبناء عليهم وإذا بغضبتهم عليهم تهز كياتهم وتفتت جمعهم وتوسع بينهم وبين بعضهم الشقة والخلاف وغضبة الضباع عليهم تهزهم كما تهز الأمواج العاتية الفلك هزا هتلريا عندها يتهاوى الشراع وتغرق سفينة الأمة فى محيط الأسى العميق يقول الشاعر مصورا هذه المعانى:-

٣٠- هذه الروم فى السباق مع الفر ∴ س وكل مخادع ثعلبى
٣١- إن يقدم جنى ففيه سموم ∴ أو يناصر فنصره ..... لولبى
٣٢- كم على العرب صب نار هلاك ∴ ومحا نشوة ابتهاج هنى
٣٣- كم ببيروت وزع الموت حتى ∴ شاهد الطفل حتفه وهو حى
٣٤- وفلسطين فى يديه تلوى ∴ فى قيود من الدمار العتى
٣٥- إنها فى سوق السياسة بيعت ∴ ثم منوها بانعتاق .... بهى
٣٦- فإذا جنة الأمانى لهيب ∴ واذا الضوء للدجى محنى
٣٧- واذا النصر كالأمانى سراب ∴ وأذا العزفى الثرى منسى
٣٨- واذا غضبة الضباع ....تهز الفلك ∴ هزا مباغتا هتلرى
٣٩- فتهاوى الشراع والفلك غاصت ∴ فى محيط الأسى العميق الأتى

****

وفى اللوحة التالية نراه يقف موقف الأمل للناصح حيث ترك الواقع المر الذى كسر فيه شراعه وحطمت فيه سفنه فى محيطه العميق الغريق وإذا به تشرق عاطفته عندما ينظر بعين الأمل فيجد أن اللواء مرفوع بيد العربى الفارس الجسور هذا الفارس لم يصده عن عزمه وبأسه صاد فمع أن السفينة كانت أشلاء وبلا دفة وبلا مجرى سوى إلا أنه أصلح الفلك والشراع ولديه أمل فى غد مشرق وضاء ثم أخذ الشاعر فى النصح للأمة العربية متمثلة فى (سفينة نوح) فهو ينصحها بالمضى قدما كما يناديها بعد الاستسلام لليأس فأمة العرب ولادة للقادة فكل العرب قد انضجتهم المآسى ونيران الحروب وكلهم للذل رافض وللثأر من الأعداء ناهض كما يطلب من الأمة أن تتسلح بروح التحدى والصمود والعزم الأكيد الذى لا يفله أدعياء البطولة.

يقول الشاعر :-

٤٠ـ وإذا باللواء يرفعه الربان ∴ فى همة الجسور..... الكمى
٤١ـ بدأ السير والسفينة أشلاء ∴ بلا دفة ومجرى سوى
٤٢ـ أصلح الفلك والشراع.....لديه ∴ أمل أخضر وصبح ندى
٤٣ـ فأمضى يا سفينتى لا تقولى ∴ مات نوح وجف عطرى الشذى
٤٤ـ كل من فيك أنضجته المآسى ∴ فأرتدى ثوب ثأرد اليعربى
٤٥ـ وتحدى الرياح فى عنفوان ∴ وصمود يفل عزم الدعى

****

وفى اللوحة الأخيرة من هذه القصيدة نرى الشاعر يمجد العزم العربى والصبر على الصعاب حتى أنها لكثرتها علينا عبر عنها بقوله:-

(موج الصعاب) إن دل هذا على شىء فإنما يدل على كثرتها وتواليها وفى خضم هذا الموج من الشدائد ما كان منا إلا أن سبحنا وواصلنا المسير وكان أملنا هو الوصول إلى شاطىء السلام والأمان

وكان مجدافنا هو الصمود والتحدى الذى به نسحق وجه الظلم والعدوان والهمجية واتخذنا من الأمل شراعا وقد طوفنا به فى أفق المستقبل الباسم ، لهذا فالشاعر مستبشرا بأن الأمة ستلتقى فى صعيد واحد وهو على قبة المعراج وعندها نجنى ثمار انتصاراتنا الخالدة وفى هذا المكان المقدس الذى أسرى بالنبى (ﷺ) إليه سنقيم الصلاة ، وعندها ما يكون من الشاعر والأمة معه إلا أن يحضنوا الآمال فبلاده كل شىء بالنسبة له فهى هواه وملء فؤاده فهو قد عشق الحب وعشق الهوى وبلاده هواه وغرامه وفى النهاية يدعو لها بالسلامة والسعادة والنصر السعيد.

يقول الشاعر:-

٤٦- عبر موج الصعاب إنا سبحنا ∴ نبتغى شاطىء الأمان الأبى
٤٧- واتذنا الصمود....مجدافنا السا ∴ حق مد الهزيمة الهمجى
٤٨- ونسجنا الآمال أشرعة.....حا ∴ مت بأفق المستقبل الشاعرى
٤٩- فغدا نلتقى.....على قبة المعـ ∴ ـراج نجنى انتصارنا الأبدى
٥٠- ونقيم الصلاة فى المسجد الأقـ ∴ ـصى سراج الهدى ومسرى النبى
٥١- وهنا ياسفينتى أحضن الآ ∴ مال إذا هبت بالحياة على
٥٢- وأنادى هواك ملء فؤادى ∴ يابلادى.....وكل شيىء.....لدى
٥٣- قد عشقت الهوى وانت غرامى ∴ فأسلمى وانعمى ....بنصر هنى

التعليق العام

فى هذه القصيدة وقفنا على ارتباط الشاعر بأمته العربية ارتباطا حميما يحيا به ويحيا له ويتفاعل معه مما جعل الدكتور حلمى القاعود يقول عنه (والشاعر على اتصال بواقع الأمة اكثر من أى شىء آخر بل من قضاياه الخاصة والذاتية وأن رؤيته تدور فى فلك الهم العام مع تعدد ملامحه وجوانبه) [1] .

(١) الورد والهالوك د/ حلمى محمد القاعود صـ١٠٦ طبعة دار الأرقم.

الأسلوب

لقد كان أسلوب الشاعر دكتور صابر عبدالدايم فى هذه القصيدة كعادته سهلا ممتنعا بعيدا عن الخشونه والغرابة والإغراب فى ألفاظه وتراكيبه كما يظهر من أسلوبه أيضا بعده عن المحسنات البديعة.

العاطفة

أما عن العاطفة فى القصيدة فقد سيطر على معظمها اللون الغائم حيث القصيدة بلغت ثلاثة وخمسين بيتا وكانت عاطفة الشاعر من اللون الغائم على مدى تسع وثلاثين بيتا وهى التى تحدث فيها عن الواقع العربى المؤلم لما أحاط بالأمة من حروب ومصائب ودمار ولما يحاك لها من شرور وأوضار وفى الأربعة عشر بيتا الأخيرة التى تحوى الخاتمة نجد الشاعر ذا عاطفة مشرقة بعض الشىء يحدوها الأمل فى غد مشرق بسام عندما يحمل اللواء فارس عربى ذا همة وجسارة وعزم أكيد لم يقف من عقبات الرحلة مع أن سفينته قد تسلمها أشلاء بلا دفة ومجراها غير سوى ، وبعد أن أطال الحديث عن الغد المشرق بأبطال أنضجتهم المآسى وارتدوا ثوب الثأر العربى وتحدوا رياح فى عنفوان وصمود يفل عزم الدعى.

الموسيقى الشعرية فى القصيدة

أما عن الموسيقى الشعرية فى القصيدة فلقد هيأ الشاعر للمتلقى جو موسيقيا تعزف فيه أوتار الوزن والقافيه أما عن الموسيقى الداخلية فقد كانت مصادرها متنوعه يمكن إلتماسها فى كل لفظ أنيق ورشيق منتقى وفى كل عبارة محكمة دقيقة موحية وكل صورة بديعة رسمت بدقة وبراعة بحيث نشعر بكل ذلك بإرتياح نرى صداه فى أعماقنا ويحرك مشاعرنا ويثير مواجيدنا.

الصورة فى القصيدة

أما عن الصورة الكلية للقصيدة فتتركز فى نقطتين هما :-

واقع الأمة العربية المؤلم الحزين

غدها المشرق البسام

وأما عن الصورة الجزئية فهى تلك الصورة التى أحكم الشاعر صنعها وجعلها متألفة تآلف أعضاء البدن فأضفت على الصورة الكلية جمالا أى جمال وهى تبدوا فى تصوير (ظلمة الخطوب) (والطوفان الزاحف على الأمة) وأجد الجمال كل الجمال فى تصوير الشاعر للعزم وهو شىء معنوى معقول فى صورة حسية مجسدة حيث جعل منه شيئا يعصر ويحتسى فى قوله :-

واعصرى العزم ثورة واحتسيها.

وكذلك فى قوله:-

بددى اليأس من خطاك.

وكذلك فى قوله:-

أشباح يأس من قوله :-

وأرى فى الآفاق أشباح يأس ∴ وشراع الرجاء عنها قصى

وكذلك فى تصويره لمخططات الأعداء للأمة العربية ممثلة فى ما جاء به بشير السلام المزعوم من خطة وأوراق نائمة فى حقيبته وكذلك تصويره للسلام بعذراء تمشى فى طريق ملىء بالأشواك من قوله:-

وكأن السلام عذراء تمشى ∴ فى طريق الأشواق بين العصى

وكذلك ما أروع الشاعر وما أبدع تصويره للآلات الحربية الفتاكة المتمثلة فى (الذر) وما تحدثه بالأجنة فى بطون أمهاتها وأرحامها وبعد الميلاد فى قوله :-

٢٤- عشش الذر فى بطون العذارى ∴ فإذا بالجنين غير سوى

٢٥- أى ذنب جناه طفل برىء ∴ فيرى بيننا بوجه شقى

٢٦- ربما عانق الوجود كسيحا ∴ أو ضريرا أو ذا هلا أو عيى
٢٧- أو بأنفين أو بخمس أياد ∴ أو برأسين أو بلا أى شيىء

وكذلك ما أقوى صورته حيث جعل من الموت شيئا يوزع على أهل لبنان حيث قال:-

كم ببيروت وزع الموت حتى ∴ شاهد الطفل حتفه وهو حى

وتصويره لفلسطين متلوية فى قيود الدمار وبيعها فى سوق الساسة حيث يقول :-

وفلسطين فى يديه تلوى ∴ فى قيود من الدمار العتى
إنها فى سوق السياسة بيعت ∴ ثم منوها بإنعتاق بهى

هذه الصور من شأنها أن تحدث حيوية وطرافة وتشويقا وإثارة للمشاعر والأحاسيس والإنفعالات والعواطف المشتجره فيتحقق بذلك نوع من التجاوب بين الشاعر والمتلقى.

المبحث الرابع
شعر الإسلام فى مدائن الفجر

إذا كان شاعرنا العظيم قد ملأت عليه لبه الهموم العربية فإن هموم دولة الأسلام وشعوبه كانت هى الشغل الشاغل له بقضاياها وآلامها وآمالها وقد وجدناه يدعوا إلى الوحدة الإسلامية ويحث عليها فهى طوق النجاة للأمة فى شرق المعمورة وغربها فعداء الغرب السافر هو عداء للإسلام وتعاليمه ومقدساته وأول ما يطالعنا فى ديوان مدائن الفجر من قصائد يتحدث فيها الشاعر عن قضايا المسلمين وإن كان لم ينس القضايا الإسلامية فى قصائد العروبة قصيدة (نقوش على جدران المسجد الأقصى) [1] والتى مطلعها :

ياقدس .... طير البغى فيك يحلق ∴ والمسجد الأقصى يُدك ويحرق
الغاصبون زمان أمنك ما دروا ∴ أن الحجارة فى اشتعالك فيلق
قد أضرموا النيران فيك..وفى قلو ∴ بهم الفساد مع الجحود معلق
والمسجد الأقصى يقاوم كيدهم ∴ وبه إلى فجر الأمان تشوق
إن أحرقوه وهدّموا محرابه ∴ فبكى وهم سمعوا الأنين فصفقوا

* * * * * * * * * * * * * * *

التحليل

فى هذا المطلع المباشر الذى لم يقدم له نجد الشاعر يتحدث عن القدس المباركة وما يحدث فيها وما يحدث لها فطائرات البغى والظلم فيها تحلق وبهذه الآلات العسكرية المتقدمه يدقون ويحرقون بيت الله المقدس (المسجد الأقصى) وهم بما يفعلونه غصبوك زمان الأمن والسلام ونسوا أن أحجارك فيالق عسكرية ستحرقهم وتجعل الدائرة عليهم فقد أضرموا النيران بالمسجد الأقصى ولم ترق قلوبهم لبيت الله المقدس لأن قلوب ملأها الفساد وخيم عيلها الجحود ومع كل هذا فالمسجد يقاوم كيدهم ويحن إلى زمن يشيع فيه الأمان

(١) ديوان مدائن الفجر صـ٥٧ .

والسلام إن أحرقوه وهدموا بنيانه ودمروه فيبكى لسان حاله وهم يصفقوا ويبتهجوا بحاله وصنيعهم

فالثأر يزحف فى انتفاضة أمتى ∴ وبعزمة الأحرار قلبى يشهق
والمنبر القدسى كبّر هاتفاً ∴ والغرب صُمّ وقد وعاد المشرق
ماتت قضايانا بمجلس أمنهم ∴ وضميرهم بالزور دوماً يلعق
لا عدل لا إنصاف فى زمن يُسا ∴ م الحق فيه .... وبالضلال يطوق
الله أكبر فى الشدائد مدفعى ∴ بالنصر برق ضيائها يتدفق

بعد المطلع وبعد أن عدد الشاعر بعض صنائع اليهود فى الارض المقدسة ومسجدها الأقصى المبارك نجد الشاعر فى هذه اللوحة يزأر ثأراً معلناً الثأر والزحف والإنتفاضه المباركة من أمة أحرار لا يرضون بالذل والخنوع وعلى رأسهم الشاعر ذو القلب الشاهق ومنبر المسجد الأقصى كبر هاتفاً ومع ذلك الغرب أصم لا يسمع نداء مظلوم ولا يغيث ملهوف ولكن الشرق وعى نداءه قلبى وعلم أن مجلس الأمن هو أمن لهم (للغرب) فقط تموت قضايا الأمة الإسلامية وكأننا نحيا حياة العصر الغابر التى كان يقول عنها أحد علماء المسلمين:

(لأن يموت يهودى واحد قضية لا تغتفر ولأن يموت كل المسلمين قضية فيها نظر) وضمير الغرب ومجلس الأمن دائما يستسيغ ويتجرع الظلم وقد فقدنا العدل والإنصاف فى هذا المجلس حيث أن الحق أصبح يسام الخسف والإرهاق وأصبح الضلال يعلوا عليه ويطوقه لما رأينا الأمر أصبح على هذا النحو ما كان منا إلا أن جعلنا (الله أكبر) عند الشدائد هى الحامى والمدافع فهى المعين بل نعم المعين على النصر فيروق النصر معها تتدفق.

ويعد هذه اللوحة المعبرة عن حال الغرب حيال قضايا المسلمين نجد الشاعر يستنطق المسجد الأقصى ويسمع صوته ويتقرأ لسان حاله وإذا بالشاعر يقص علينا ما سمعه وما قرأه فالمسجد الأقصى على باب الزمان الذى ضاع فيه الحق وماتت الضمائر بكل ما أوتى

من عزم ويطرق بابه وينادى التاريخ أن يبعث الأنبياء وسيرهم ومعجزاتهم حتى ينقذوا أمة الإسلام من التمزق والتشرزم والضياع فينادى موسى أن إئت بعصاك واسحق جبهة الطغاة والبغاة كما ينادى عيسى عليه السلام ويقول له نور مهادك يخبو وينطفأ وكادت شمسه لا تشرق وأخذ يعدد معجزاته من إبراء الأكمه والابرص ويحيى الموتى بإذن الله ويحقق الآمال ، ثم يستغيث به أن ينقذ ساحته من دنس اليهود وأرجاسهمويطلب منه أن يلبى نداءه فكم كانت حجارته تصغى إليه وهو فى بطن أمه يُسَبِّح الله وكم عاش على أرضه الطاهرة ثم يتوجه بالنداء إلى محمد (ﷺ) ليطلعه على ما يحدث فى أولى القبلتين وثالث الحرمين فالحق فيها يصلب وشنق فى وضح النهار والعدل غريق فى أنهار ظلمهم والسلام والأمان مبتور الأيدى فى أرض ضاع فيها الإيمان ولذلك فالله أكبر خير معين وخير سلاح يأتى به النصر المبين يقول الشاعر :-

لكأنّ صوت المسجد الأقصى على ∴ باب الزمان .... بكل عزم يطرُق
ويقول للتاريخ قم وابعث إلـ ∴ ـنبيّ الأنبياء فأمتى تتمزق
ويقول(ياموسى)ائتنى بعصاك واسحق ∴ جبهة الباغين إنى أخنق
فلكم أضاء منارتى نور الوصايا ∴ العشر وهى بكل حبٍّ تنطق
ويقول يا(عيسى) مُهادك نوره ∴ يخبوا .. وكادت شمسه لا تشرق
كم كنت تبرىء أكمها ... أو أبرصا ∴ والميتَ تحيى ... والرجاء تحقق
أفلا سعيت اليوم تنقذ ساحتى ∴ سيظل ذكرك فى السماء يحلق
فحجارتى الصماء كم أصغت إليك ∴ وأنت فى حضن البتول تشقشق
ودرجت فى ساحى فراشة عفة ∴ تجنى الرحيق من الضياء وتعشق
ويقول (ياطه) بأولى القبلتين ∴ الحق يصلب من النهار ويشنق
والعدل فى أنهار ظلم الغادريـ ∴ ـن من المفاسد والمجازر يغرق
والسلم مبتور اليدين بساحة ∴ فيها الأمان مع السلام مُورق
(الله أكبر) فى الشدائد مدفعى ∴ بالنصر برق ضيائها يتدفق

* * * * * * * * * * * * * * *

وفى اللوحة التالية نجد الشاعر يكرر ما به بدأ وكأنه أراد وكأنه أراد منا ألا ننسى ما عليه المسجد الأقصى من أسر وحروب ودمار وأنهم قد اشعلوا النيران فى جنباته مع أنه يفيض بالعلم الغزير على كل روّاده كما يفيض بالذكر والهَدْى العميم وعندما أحرقوه زاد عطر جلاله فهو كالعود لا يدرك طيبه إلا بحرقه وهم يريدون من حقدهم أن يطفئوا نوره ولكن يأبى الله إلا أن يتم نوره فهو كالشمس دائما مشرق وبعد أعمالهم التخريبية تهب عاصفة الفداء لتصعق الطغاة ثم يستدعى الشاعر الأحداث والشخصيات الإسلامية ويستدعى الشاعر التاريخ أحيانا يستعين به على توضيح رؤيته للحاضر ولكن استدعاء التاريخ عنده لا يكون إلا إذا كان الحاضر ذا صلة ما بالتاريخ ولذلك يجىء الاستدعاء طبيعيا محققا لما يراد منه من تأثير بل إن الصلة بين التاريخ والحاضر لتبدو وثيقة عند الشاعر لما يعمد إليه إحيانا من اكتشافوسيلة لغوية تشير إلى هذا الإرتباط يستغلها الشاعر بنجاح لتوثيق هذه الصلة ومضاعفة تأثيرها على القارىء[1] فالشاعر يستدعى حادث فتح بيت المقدس على يد عمر بن الخطاب ليربط بين الماضى والحاضر وليثير الهمم والمسجد الأقصى بارك خطو عمر عندما فتحه وتسلم المفتاح من حراسه وعندما علا فيه صوت نداء الإسلام (الآذان) وانهارت مع الأجراس آخر صيحة للظلم إذ ضربه عمر بعدله فى مقتل فلم تقم له قائمة فى هذه الأرض المباركة كما يستدعى الشاعر أيضا التاريخ وشخصياته الإسلامية وقواده الأماجد فنراه يستدعى معركة حطين بقيادة صلاح الدين الأيوبى وفتحه لبيت المقدس يقول الشاعر مصورا ذلك:-

ياقدس طير البغى فيك يحلق ∴ والمسجد الأقصى أسير موثق
قد أشعلوا النيران فى أضلاعه ∴ وضلوعه هدى وذكر مغدق
قد أحرقوه فزاد عطر جلاله ∴ كالعود يكثر عطره إذ يحرق

(١) المرايا وزهرة النار تقديم الدكتور عبدالحكيم حسان صـ١٢٨ .

وأتـوا بحقـدهم ليطفـىء نـوره ∴ لكنـه كالشـمس فينـا يـبرق
وإذا بعاصـفة العـزاء تهـب مـن ∴ مهـد السـلام علـى الطغـاة فتصـعق
قـبس مـن الفـاروق أشـعل امـة ∴ كـادت تضـيع كديمـة تتشـقق
والمسـجد الأقصـى يبـارك خطـوه ∴ فجبينـه بضـياء عـز يشـرق
وتسـلم المفتـاح مـن حراسـه ∴ ويوجهـه نجـم الهـدى يتـألق
وهوت مـع الأجـراس آخـر صيحة ∴ للظلـم ... وهـو بسـهم عـدل يرشـق
وإذا بفـتح للخـلاص تقودنـا ∴ فـإذا بـه (فـتح قريـب) مشـرق
(وبشارة) أذكى صلاح الـدين هـا ∴ لتهـا فسـرنا نحوهـا نتـدفق
(حطـين) حجتنـا وواحـة مجـدنا ∴ حيـث الأوائـل والأواخـر تعشـق

* * * * * * * * * * * * * * *

ونرى الشاعر فى اللوحة الأخيرة من نقوشـه علـى جـدران المسجد الأقصى يوجه خطابه إلى بيت الله المقدس ليطمئنه ويهدىء من ألمه وحزنه فيقول: له يامسرى رسول الله هذه الفتوحات السابقة على يد عمر بن الخطاب وصلاح الدين الأيوبى ما هى إلا صـحائف خطت وكتبت فى سجل الخالدين ، واليهود إن أشعلوا فيـك النيـران فإنما هى جذوة بها سيحرقون وهم من إفكهم قـد ظلمـوا نبـى الله سليمان ونسبوا إليه هيكلاً وادعـوا أنهـم شـعب عريـق وهـاهم المسلمون فى المقابل قد حملوا أرواهم على أكفهم وكلهـم مشـتاق وأن يفديك بها المسلمون فى كل قارات العـالم وآرجائـه سـيهبوا كالإعصار على الطغاه يدفعهم الحزم والعزم فيفنوا الطغاه ويمزقوهم شر ممزق وهؤلاء هم شاباب المسلمون فى أرض فلسطين يقومون بالعمليات الفدائية التى تكتب لهم الخلود فتتفجر النيران من أجسادهم ليحرقوا بها المعتدى الغاصب والعدوا الغاشم والمؤمنـون بـالنفس والنفيس يفدونك فالموت من أجلك أمل وغاية يتمناها كل المؤمنـون وآلاتهم فى ذلك هى (لا إله إلا الله) والدين راية ترفر عليهم عالية خفاقه والله يبارك زحفهم والله يوفق وينصر جنده وأى مكان أحـق بالزحف منه وملائكة الله تصحبهم فى زحفهم يقول الشاعر :-

مسرى رسول الله ... تلك صحائف ∴ خطـت بسـفر المجـد فيـك تنشـق

إن أشعلوا النيران فيك فإنما ∴ هي جذوة ... وبغيرها لن يحرقوا
ظلموا سليمان الحكيم بهيكل ∴ وبغوا وقالوا نحن شعب أعرق
المسلمون على الأكف.. والروح قد ∴ وضعوا ... وكل للفدا متشوق
آسيا وأفريقيا ومن ∴ عطر الحقيقة والشريعة ينشق
سيهب كالإعصار كل موحد ∴ يُفنى الطغاة .. وللجناة يمزق
سيهب كالإعصار كل موحد ∴ وعلى البغاة .... بكل حزم يطبق
هذى الدماء الخضر تكتب قصة ∴ فيها الحجارة بالبسالة تورق
تتفجر النيران من أضلاعها ∴ والغاصب المحموم فيها يغرق
والمؤمنون ... إليك يزحف عمرهم ∴ فالموت دونك غاية تتحقق
وشهادة التوحيد مدفعهم وديـ ∴ ـن الله رايته عليهم تخفق
ويبارك الرحمن زحفهم إليك ∴ فأنت بالزحف المقدس أخلق
وتسير جند الله بين صفوفهم ∴ فالله ينصر جنده ويوفق

* * * * * * * * * * * * * * *

التعليق العام على القصيدة:-

إذا كنا فى الصفحات السابقة وقفنا على ارتباط الشاعر بأمته العربية ارتباطا حميما ووجدنا أنه على اتصال بواقع الأمه أكثر من أى شىء آخر فإننا نجده مع القصائد التى تتسع فيها نظراته ليحمل هموم المسلمين فى كل مكان وعلى كل شبر يقال عليه لا إله إلا الله نجده أشد ارتباطا لأنه فى هذا المجال يحركه أكثر من عامل كعامل الإنسانية والعروبة والدين والعقيدة مما جعل الشاعر يحمل لواء الثورة العارمة على أعداء الله والأمة فى عبثهم بالمقدسات الدينية متمثلة فى (المسجد الأقصى) لذلك لما تحدث عمن سيهب للدفاع عنه أشرك فى ذلك كل موحد سواء فى آسيا ، إفريقيا ، وأوروبا.

الأسلوب:-

الشاعر فى أسلوبه كما عودنا حيث أنه يؤثر السهولة والبعد عن التعقيد فقد جاء أسلوبه سهلا ممتنعا بعيدا عن الخشونة والغرابة والإغراب فى ألفاظه وتراكيبه كما كان بعيد كل البعد عن المحسنات البديعية.

العاطفة:-

أما عن العاطفة فقد كان قاسما مشتركا بين اللون الغائم واللون المشرق فقد سيطر عليه اللون الغائم من المطلع وحتى البيت السابع والعشرين والذى يقول فيه :-

وأتـوا بحقـدهم ليطفـىء نـورد ∴ لكنـــه كالشـــمس فينـــا يـــبرق

والشاعر على مدى هذه الأبيات يتحدث عن أفعال اليهود فـى الأرض المقدسة من قتل وإرهاب ودمـار وإحـراق وعـن قضـايا المسلمين فى مجلس الأمن حيث لا عدل لا إنصاف وكذلك تصـوير د للمسجد الإقصى وهو ينادى الأنبياء وأممهم ويستغيث بهم إلى آخـر الأبيات التى تتحدث عن ذلك.

والقسم الثانى وهو يبلغ إحدى وعشرين بيتـا كانـت عاطفـة الشاعر فيها مشترقة حيث وجدناه يتحدث عن فتح عمر بن الخطاب لبيت المقدس وتسلمه المفتاح من حراسه ودفع الآذان فـى سـاحته وهدم الأجراس والنواقيس معلنا عهدا جديدا ترفـرف عليـه رايـة الإسلام ثم حديثه عن موقعه حطين وانتصارات صلاح الدين الأيوبى وبعد ذلك وحتى نهاية القصيدة نجـده يتحـدث عـن غـد ملـىء بالانتصارات على يد كل موحد فى جميع أرجاء المعمورة وعلى يـد الفدائيين وأصحاب العمليات الاستشهادية ومعهم جند الله والله يبارك خطوهم.

****

الصورة الشعرية فى القصيدة:-

أولا:- الصورة الكلية يعبر عنها عنوان القصيدة فهى كامنة فيه إلا أنها تتمثل فى نقطتين وإن كانت مبسوطة فى المعنى العام:-

أ- واقع المسجد الأقصى المؤلم.

ب- الإنتصارات القديمة على يد عمر بن الخطاب وصلاح الدين والإنتصار القائم على يد الفدائيين.

ثانيا :- أما عن الصور الجزئية :- فهى تلك الصور التى أحكم الشاعر صنعها وجعلها متآلفة تآلف أعضاء الجسد فأضفت على الصورة الكلية جمالا أى جمال وهى تبدو فى تصوير (تحليق طير البغى) و (إحراق المسجد الأقصى) وتصوير اليهود بقوله (الغاصبون زمان أمنك) وفى (تعلق الجحود والفساد بقلوبهم) وفى (تشوق المسجد إلى السلام والأمان) وكذلك فى (زحف الثأر) وفى تصويره للمسجد الأقصى وهو ينادى الأنبياء (موسى – عيسى – محمد)

وفى تصويره لحجارة المسجد مصغية للمسيح وهو فى بطن أمه)

وتصوير كذلك لغرق العدل فى مجازر اليهود إلى آخر ما حفلت به القصيدة من صور عملت على إتمام الصورة الكلية للقصيدة.

والشاعر استطاع أن يرسم بكلماته لوحات فنية بديعة لو رجع إليها الرسام لأفاد منها فى الوقوف على أبعاد الصورة لونا وحركة.

الموسيقى الشعرية فى القصيدة :-

أما عن مظاهر الموسيقى الخارجية الظاهرية فأول مظهر لها هو الوزن والقافية أيضا من مظاهرها ذلك التوافق الصوتى والنغمى بين ألفاظ القصيدة.

أما عن الموسيقى الداخلية :- فيمكن التماسها فى كل لفظ أنيق رشيق منتهى وكل عبارة دقيقة موحية وكل صورة بديعة رسمت بدقة وبراعة بحيث نشعر لكل ذلك بارتياح نرى صداه فى أعماقنا ويحرك مشاعرنا ويثير مواجيدنا.

القصيدة الثانية
بعنوان (وا إسلاماه)

الضوء حروف ... تنسجها هالات قدسية
والأفق منارات يذكيها هطر الصلوات الكونية
والليل تناجى آيته نبض السنوات الضونية
والفجر على أبواب مداننا يرفع رايات إسلامية
والفجر يؤذن .....
والصم ... البكم ... العمى ظلال شمعية
والشمس .. تصافح نبض الأيدى الخضر الصخرية
وقوافلنا لا تبصر فى الأفق سوى شبح الأيام المنسية
تهرب من وهج الشمس.....
وتلقى فى حب الليل الخطوات الفضية
وظلال الوهم غبار
تذروه رياح شيطانية
والحق غريب فى زمن
لا تحرسه أسياف رحمانية

****

هذه لوحة بديعة من قصيدة وإسلاماه وهى عبارة فى راى عن صرخة استغاثة من الشاعر تذكرنا بصرخات المستغيثين

عبر تاريخ الأمة الإسلامية فها هى المرأة العربية التى أوذيت من اليهود على عهد الحبيب محمد فى السوق وإذ بها تصرخ بأعلى صوتها قائلة وإسلاماه فينقض أحد المسلمين على اليهودى فيقتله فيجتمع اليهود على المسلم فيقتلونه وإذ بالحبيب محمد القوى فى الحق القوى بربه يجلى اليهود عن المدينة ويطردهم شر طردد إنتقاما لعرض المسلمة فأين نحن من رسول الله وأصحابه ، ففى كل ساعة بل فى كل لحظة تنتهك حرمات المسلمات وحرمات المقدسات ومع ذلك لا نحرك ساكناً ولم تقم لنا قائمة ولكن نسأل الله العون والهداية.

فالنور والأمل عند الشاعر حروف تصنعها أنوار قدسية والكون ملىء بالمنارات التى ينفحها مسك الصلوات الكونية والليل وهو وقت المناجاة تناجى آياته نبض السنوات الضوئية والفجر (الأمل) المشرق البسام يكاد يقف على أبواب مدائنا الحزينة يرفع رايات النصر الإسلامية وعندها الفجر يؤذن ، والله أكبر تعلوا وتشدو فوق مآذن مدائننا العصرية وعندها كل من صم أذنه عن الحق ولم ينطق به ولم يره يصبح ظلا لا قيمة له (ظلال شمعية) وهنا تصافح الشمس نبض أيدى الأبطال من الشباب الأخضر اليافع ذا الأيدى الصخرية الحديدية ومع ذلك فقوافل المسلمين لا زالت لا ترى إلا التاريخ القديم تترنم على الحانة وتعزف على قيثارته تهرب إلى التاريخ من واقعها ولا تحب أن تصنع لها تاريخاً يفخر به الأبناء كما نفخر بتاريخ آبائنا وأصبحت الآمال وهمٌ وغبارٌ تزروه رياح الأعداء الشيطانية وأصبح الحق غريب فى هذا الزمن لأنه لا تحرسه جند الله وأسياف الله.

الكل يقول أنا حق ..... ∴ وعلى حق والحق لديهم غيمات صيفية
والضوء الفرس الراكض ∴ فى زمن الومضات الروحية
نغتال صداه ..... ونبكى ∴ نضحك نرحل من غير هوية
والأفق براكين ∴ تلقف ما نأفك من حيل ثعبانية
والليل بكل شواطئنا ..... ∴ يزرع ألغاماً عصرية
ويلوح بالضوء الكاذب ∴ وتشد الفلك إشارات وهمية
تعلو أمواج البرق ..... ∴ وتصهل أفراس الرعد البحرية
والفلك ستغدو مائدة تتنازعها الحيتان النووية
والفجر على الشهداء يطل ويرحل عبر السنوات الضوئية

هنا الشاعر يلامس الواقع المعاش وكأنه يخبر عن دخائل الناس وما يدور فى أعماقهم فجميع الأطراف تقول أنها على حق بل هى الحق ذاته وهم لا يعرفون عن الحق شيئا فالحق عندهم غيمات صيفية وهل فى الصيف يكون غيوم؟

إذن حقهم وهم لا أصل له ولا أساس

والنور السابح فى أرواحنا أصبحنا نغتال صداه حتى أصبحنا من غير هوية والكون كله أحداث عظام وحروب تشبه البراكين تحطم كل ما نفعله وتقوم به من حيل ثعبانية.

والظلم والعدوان بكل حدودنا يزرع الألغام سواء كانت الغام حقيقية أم الغاما سياسية تعرقل طرقنا إلى النصر والتقدم ويطمعنا بالآمال الكاذبة وقد عبر عن الأمة الإسلامية بالرمز (الفلك) وعندها تشد الفلك إشارات وهمية والأمة ستصبح مائدة تتنازعها الدول النووية التى تحلها لأنفسها ولمواليهم وتحرمها على أمة المسلمين بل من يقتنيها من المسلمين يطلقون عليه إرهابى ويعضون عليه العقوبات من حصار وغيره وليست العراق والسودان وليبيا وافغانستان منا ببعيد وفى هذه الفقرة كأن الشاعر ينظر إلى قول الرسول (ﷺ) (تتداعى عليكم الأمم كما تتداعى الأكلة إلى قصعتها قالوا : أمن قلة نحن يومئذ يارسول الله قال بل كثير ولكنكم غثاء كغثاء السيل) صدق رسول الله (ﷺ)

وستعود إلينا أرضنا وعزتنا ومجدنا ولكن إذا عدنا لقرآننا وسنة نبينا وتزينّا بملامحنا القرآنية نقرأ كتاب ربنا ونعمل به وفى كل حياتنا يكون قرآننا هو دستور حياتنا عندها سنطاول الأفلاك العلوية عزا ومجدا وسؤددا وعندها تصبح الحياة حدائق إيمان تعبق بالأرواح والرياحين الإيمانية ومن هنا يشرق عليها نور الفجر فيشع فى مدائننا الإسلامية وتستقبله الأمة حاملة الألوية الإسلامية .

يقول الشاعر:-

سيعود إلينا ..... ∴ إن عدنا لملامحنا القرآنية

نقرأ باسم الله .. كتاب الكون .. ونسبح فى الأفلاك العلوية

ويكون الكون حدائق إيمان يعبق بالصلوات الكونية

والفجر على أبواب مداننا ∴ تستقبله الرايات الإسلامية

****

التعليق العام

فى هذه القصيدة نرى أسلوب الشاعر يتكىء على الرمز أكثر منه على غيره كما أنه أكثر من استدعاء عناصر الطبيعة – الضوء – الشمس – الليل – الأفق – الظل – الغيم – البراكين – البرق – الأمواج – الفلك – الفجر – إلى غير ذلك من عناصر.

والقصيدة هى عبارة عن مجموعة من الشحنات العاطفية أسكبت على لسان الشاعر فخطها يراعة وصلت عاطفته مداها من الحدة والإنفعال فبعد أن قاضت بُرَحَاءُ الشاعر وجدناه يطن صرخته مستغيثا بالإسلام الذى يلبى فهى صرخة مدوية نقشت فى جبين التاريخ لتطن ما كان عليه حال الأمة وما آل إليه حالها فوجدناه ينادى الإسلام بصوت ممدود معبراً عن شحنة عاطفية جبارة إعتملت بها نفسه وفاض بها وجدانه ومن هنا كان السر فى النداء وسر آخر هو أن الشاعر المكظوم من هذا الواقع المر المؤلم الملىء بالغيوم فى جو علت فيه الدعوات والشعارات لتيارات أخرى بعيدة عن روح الإسلام عندها تيقن أنه لا حل لنا إلا بالإسلام والرجوع إلى حظيرته والعمل بدستوره ومن هنا نجد الشاعر قد رسم لوحة شعرية قوامها اللون والحركة والصوت

فاللون:-

يتمثل فى إتكار الشاعر لغير الإسلام لأنها تيارات أثبتت فشلها الزريع فدولة الإسلام أصابها البلى والحزن نتيجة للأهواء التى لم تنبثق من روح الإسلام.

الحركة:-

الفرس الراكض – الومضات – البراكين – أمواج – البرق – يطل – يرحل – إلى غير ذلك.

الصوت:-

يُسمع فى نبكى – نضحك – تلقف – تصهل – وأرى أننى فى هذا النص أمام ظواهر ثلاثة يجب ألا تغفل.

الظاهرة الأولى:-

الإلحاح فى وصف الشاعر لواقع المسلمين وأوطانهم ومبعث هذا الإلحاح هو واقع الشاعر وأمته وكأنها صرخات تَبَرُّم وتَنَكُّر لهذا الذى صار عليه حال الأمة.

الظاهرة الثانية:-

الصور الممتدة التى كانت تتشكل من صور جزئية التقط الشاعر معظم خيوطها من حياته الواقعية وصاغها متآلفة متقاربة بحيث شكلت لوحة فنية امتلكت القلوب والأسماع.

الظاهرة الثالثة:-

ندرة المحسنات البديعية حتى لكأنه يتعمد تجنبها وقد يرجع ذلك إلى حالة نفسية وجدانية وهى أن الشاعر جاد فى حياته بعامه وفى هذه القصيدة بصفة خاصة لأنها بمثابة تصوير الواقع على ما فيه من سوء فلم تشعر نفسه بحاجة إلى تزيين قوله بتلك الأصباغ المصطنعة.

****

ولقد كان الشاعر حريصا على استخدام الفعل المضارع بكثرة ليجعل صوره واضحة مجلوه يتمثلها السامع أو القارئ متجددة على الدوام ننسجها يذكيها تناجى – يرفع – يؤذن – تصافح – لا تبصر – تهرب – تلقى تذرود – تحرسه – نغتال – نبكى – نضحك – نرحل – تلقف – نأفك – يزرع – يلوح – تشد – تعلو – تصهل – تتنازعها – يطل – يرحل – يعود – تقرأ – يعبق ،. ومن شدة حرص الشاعر على استعمال الفعل المضارع أننا نجده فى بعض أبياته يأتى بأربعة أفعال مضارعة فمثلا قوله :-

نقتال صداه ..... ونبكى ∴ نضحك ..نرحل ومن غير هوية

ولقد عكس النص واقع الشاعر الحزين الذى اختلت فيه كل الموازين واضطربت فيه كل المقاييس فهو يتحدث عن واقع ملىء بالصراعات الحربية والمعارك الطاحنة فضلاً عن أدوات الحرب المستحدثة وهذه القصيدة يقول عنها أحد الباحثين (أما قصيدة (وإسلاماه) فهى تضىء من مواجع الاستلاب ومحاولة طمس الهوية وهى تفجعنا بتفاصيل حزنها وجراحاتها فى أكثر من موضع فالنداء فى عنوان القصيدة يفجر فى قلوبنا مواجع عدة لما فيه من استغاثة وألم وعموما فالقصيدة تقوم على صورتين متقابلتين صوت الليل وما فيه من آلام ورياح شيطانية عاتية وحيل ثعبانية وظلال واهمه والصوت الثانى :- صوت الفجر القادم وما يحمله من ملامح قرآنية وحدائق إيمانية ورايات إسلامية وزرافات الشهداء ولذا فالقصيدة فى فضائها ترنو لاستثمار مدخراتها الإيمانية الرقيقة من خلال التكثيف الحى المشرق فى نهايتها لتكسب وهجها الذى ننتظر فيلبس الشاعر الظلال المعنوية ظلالا حسية قادرة على شحننا بومضات مشرقة) [1] .

(١) قراءة نقدية فى ديوان مدائن الفجر د/ محمد الحناحنه.

القصيدة الثالثة
و هى بعنوان / أعراس الشفق

وهذه قصيدة من قصائد الشعر الحديث وهى تعد صرخة فى أذان كل موحد وكأنى بالشاعر يهيب بالمسلمين ويقول:-

(هبوا شباب المسلمين) والقصيدة تجسد ما يحدث للمسلمين فى بلاد الغرب من أعدائهم ممثلة فى (سراييفو) الإسلامية و (الصرب الكافر) ففى مطلع القصيدة نجد الشاعر ثائراً داعياً إلى جهاد الكفار إذ يقول :-

مالت إلى الغرب المآذن
ودم الأهلة فى السماء يقيم أعراس الشفق
وتصدعت رؤيا البنوءات العقيم
ويطل (أحمد) فى يديه الآىُ والذكرُ الحكيم
يلقى إلينا نار آيات القتال
يتلو علينا سورة المجد الكليم

****

ثم يطلعنا الشاعر على ما يحدث على أرض الإسلام فى سراييفو حيث اندكت حصون المسلمين ومساجدهم وتجمدت صوت المآذن وكثر الشهداء وما أبرع تصوير الشاعر للشهيد الصاعد إلى الفردوس فى الجنة وهؤلاء الشهداء هم عناصر من مخلصى الأمة وما مات هؤلاء الشهداء ولكنهم ضحوا بأنفسهم حتى تعود الأمه متوحدة بقرآن ربها ويعم الإسلام كل الكون فالمنابر والمحاريب فى جميع أرجاء المعمورة تحيا حياة الإنتفاضة الرافضة لكل ما يحدث لأمة المسلمين ودماء الشهداء تهديها أصحابها إلى رسول الله وإلى أمته يقول الشاعر مصورا هذه المعانى :-

صوت المآذن فى سراييفو تجمد
وإلى ربا الفردوس ....
قد صعدت عناصر أمة
لتعود بالقرآن كونا قد توحد
كل المحاريب انتفاضة أمة تهوى محمد
كل الدماء حداءق تهدى عطاياها محمد

* * * * * * * * * * * * * * *

وفى هذه المعركة نجد الشاعر يثير فينا حساً ويستقطب منا عزيمة عندما يقول :- أن هذه المعركة اشترك فيها الشيب والشباب فالشيخ الكبير يقف كالجبل الأشم العالى هذا الشيخ باع نفسه لله حتى لو سال دمه ما تراجع حتى ولو كان فى برك من الدماء وهو فى هذه الحالة يرتدى ثوب العزة والأنفة والإباء حاملا فى قلبه ويديه سيف العقيدة ليزيل العقبات من طريق النصر على من يلقى الصخور على نور القبلتين مستحضرا معه فى هذه الحالة مواقف النبى البطولية فيتذكر صمود النبى بعد تفرق أصحابه من حوله وعندها نادى بأعلى صوته بشعاره الشهير الذى سجله التاريخ فى صفحات من نور تضىء للمسلمين غياهب الطرق وهو قوله (أنا النبى لا الكذب أنا ابن عبدالمطلب) ولم يتوقف عن الإستبسال عند حد الشيخ الهرم ولكن الطفل كذلك ينفض عن جناحيه الموات حتى يصير نجماً فى الحرب والاستبسال منتظراً أن تحقق له إحدى الحسنيين النصر أو الشهادة والشيخ ينسى عجزه وشيخوخته فيصير فتى يتسلق الجبال الشاهقة فداء لأمته ووطنه ويشتعل فى قلبه لهيب الثأر حتى يصير كأنه غصنا أشعلت فيه النار من شدة الحمية والغضب على أعداء الله يقول الشاعر :-

الشيخ كالطود الأشم
يطل من برك الدماء
يهل من ثوب الاباء
سيف العقدة فى يديه يحز أعناق الطريق
أمام من يلقى الصخور.....
على ضياء القبلتين
تنمو بعينيه الحقول المثمرات ..
أنا النبى لا كذب
وأنا ابن عبدالمطلب
والطفل ينقض عن جناحيه الموات
يصير شمسا فى نداء المصطفى الآتى ....
بإحدى الحسنيين
والشيخ يبعث فى سراييفو فتى
يتسلق الجبل المسافر فى منارات الفداء
ويشب فى قلب اللهيب لواء ثأر...
يستوى عصفا من النار...
الحياة تدب فى أوراقه

* * * * * * * * * * * * * * *

وفى اللوحة التالية وبعد أن عدد الشاعر أفعال المسلمين فى سراييفو يقول مشيراً إلى سراييفو وأنها تزف شهداءها إلى السماء فرحة بهم وتصل إلى العرش لتحتمى به وتدخل فى ساحة الملكوت العلوى وعندها تقهر سطوة العدو الغاشم وتهدم كيانه الطاغى ولترفع ذكر الأمة إلى عليين فى السماء هذه الأمة وهبت كل حياتها للقرآن ولخدمته والعمل به ومن أجله واتخذت من إيمانها هوية وسلاحا ونسيت حذائمها واستبشرت بعون ربها والخيل وهى عند الشاعر كما يقول أحد الباحثين (هى رمز للإرادة التى لا تعرف الإستسلام والإستخزاء وما أكثر ما تحدثت الأمة فى شعرها وأدبها وتاريخها عن الكر والفر ولا شك أن العصر الذى عاشه الشاعر كان عصر فر فى معظمه لم يعرف الكر إلا قليلا ولم تتح فيه الفرصة

للتعبير الكامل عن إرادة الأمة فى ميدان القتال ولهذا ألحت على الشاعر صورة الخيل والفرسان فى أكثر من موضع وأكثر من صورة لعله كان يهدف من وراء ذلك ربما لا شعورياً إلى التعبير عن الرغبة الدفينة بل المعلنة للأمة فى إسترداد إرادتها وتحدى ظالميها والطغاة الذين حولوها إلى قصعة الأمم ومعرّة الدول بعد تاريخ كان حافل بالإقدام والكر والفتوح[1] ومن هنا نستطيع أن نفهم تعبير الشاعر بالخيل فى عصر الآلات الحربية والمتقدمة والفتاكة وأنه يقصد الإرادة والعزيمة للأمة والأغرب بل والأعجب أن الشاعر يتخيل أن المسلمين فى سراييفو قد رسموا على الطلل صورة لوحش بدائى هو الصرب الذى صار الصرب معه كافراً بالله وبالإنسانية وبالكون جميعه وبكل آيات المحبة يقول الشاعر مصوراً هذه المعانى :-

هذى سراييفو تزف إلى السماء ..
.... وتحتمى بالعرش
تدخل ساحة الملكوت
تقهر سطوت الرهبوت
تهدم سُدَّة الطاغوت
ترفع فى سماء الله قصة أمة
وهبت إلى القرآن كل زمانها
سكنت هويتها ذرا إيمانها
دفنت نفايات الهزائم فى ضحى أحزانها
والخيل خيل الله تركض فى صدى أشجانها
ودماؤها تغلى .....
وما يبست على جدرانها
رسمت على الطلل الموحد
صورة الوحش البدائى
استحال الصرب فى فكيه جناً كافراً
بالله والإنسان والكون المضىء بشمس آيات المحبة
وعلى الشوارع والنوافذ والزوايا .....

(١) الورد والهالوك د/ حلمى محمد القاعود صـ١٠٦-١٠٧ .

وفى اللوحة التالية نجد الشاعر يصور كثرة شهداء ســـراييفو أمام الصرب الكافر فيقول : إن الجمـــاجم (رؤس الشـــهداء) مـــن كثرتها صارت كأنها سحب من دماء داكنة ، كما كانت الأشلاء كثيرة أيضاً حتى أن الشاعر يصور أنهم قد شادوا منها مئذنة وقبة وكـــأن الشهداء ينادون من خلفهم من فوقها (حى على الجهاد) لتفـــوزوا بجنة الله فى الأخرة ، وسراييفو لا زالت فيها روح الثـــأر والإنتقـــام لشهدائها حتى أجنة الشهداء ثائرة وفى مواقفها الصعبة مطر الحياة فيها يهل صاروخا والوليد يتخيله الشاعر بحجم هذا الكون . يحمـــل فى يمناه الشموس المضيئة التى تضىء له طرق النصر كمـــا أنهـــا تحرق أعداء الله بنارها معلنة التوحيد وتولد معها العقيدة الصحيحة

كما يحمل هذا المولود (الرمز) فى يساره أقماراً تضوع عطـــر الحياة والوجود ، وتولد معها الحياة الجديدة ، وعندها تعلوا أصوات المآذن معلنة الله أكبر مصحوبة بصهيل الخيول التـــى عبـــر عنهـــا الشاعر بما استعاره من القرآن (بالعاديات ضـــبحا – والموريـــات قدحا) إذ يقول مصوراً هذه المعانى :-

فى سراييفو الجماجم شكلت سحب الدماء الداكنة
شادت من الأشلاء منذنة وقبة .....
هى لم تزل حبلى بماء النار
.. فيها تستثار أجنة الشهداء ....
حين مخاضها ..... مطر الحياة يهل يصرخ
والوليد بحجم هذا الكون
يحمل فى اليمين شموس توحيد وميلاد العقيدة
وعلى اليسار تضوع أقمار الوجود ...
وتولد الدنيا الجديدة
وتعود تصهل فى سراييفو المآذن تلتقى
بالعاديات ضبحا
والموريات قدحا

****

واللوحة التالية نراه يكرر صيحاته المستبشرة فيعود إلى الخيل (خيل الله) التى تثير نقع الفتح ومنها يشرق محمد على الوجود ينوره معه كتاب الله ويصبح دين الإسلام دين النصر والظفر ، وعندها تبعث فى الشرايين اليابسة دماء الإرادة والعزيمة وتنبض بآيات الجهاد .

وعندها يطو صوت القرآن متلواً على جند الله ليحفزهم فتعلوا راية الإسلام الخضراء التى تدحر كل شيطان رجيم والشهداء تعلوا أرواحهم إلى أعالى الفردوس فى الجنة وعندها تعود الأمة متوحدة بالقرآن وفى النهاية يقرر الشاعر أن كل شبر عليه يذكر (لا إله إلا الله) فعليه تقام انتفاضة وثورة ضد أعداء الله لأن أصحاب الانتفاضة والثورة كلهم يهوى محمد (ﷺ) وكل دماء الشهداء هى بمثابة حدائق تهدى عطاياها لمحمد وأمة محمد ودين محمد (ﷺ).

يقول الشاعر فى هذا الختام :-

وتعود تصهل فى ((سراييفو)) المآذن تتقلى
بالعاديات ضبحا
والموريات قدحا
وتثير نقع الفتح .....
تشهد ضوء خيل الله صبحا
ويظل (أحمد) فى يديه الآى والذكر الحكيم
ويبث فى يبس الشرايين الإراده .....
نبض آيات الجهاد
يتلو علينا سورة المجد المجد الكليم
وعلى يديه الراية الخضراء تطعن كل شيطان رجيم
وإلى ربا الفردوس .... كل قوافل الشهداء
كالأشجار تصعد
لتعود بالقرآن كوناً قد توحد
كل المسافات انتفاضة أمة تهوى محمد
كل الدماء حدائق
تهدى عطاياها محمد

****

التعليق العام على القصيدة:-

فى هذه القصيدة نرى مع الشاعر أن آلهم قد أطبق على صدر الأمة وخيَّم البلاء ، وضاقت الأمور حتى أن الشاعر فى المطلع نجده على غير عادته حيث حيث يبدأ بما يثير الأمل والفرح فمآذن المسلمين مالت ناحية الغرب ، والأهلة عند الشفق الأحمر الذى يشبه الدم كما تخيله الشاعر يقيم أعراس الشفق .

ورسول الله يطل علينا وفى يديه القرآن الكريم ولأنه رآنا فى موقف المستسلم المتخاذل فإنه يلقى علينا آيات القتال لتكون نارا تحرق أعداء الله والإسلام بأمجاد أمتنا التى كان دأبها النصر والفتوح تلك الأمجاد التى صارت كليمه ، والشاعر يعلن فى صرخة مدويه حنه الشديد لما ألم بأمة الإسلام فى سراييفو حيث أن صوت المآذن قد تجمد ومن هنا نجد الأمل قد أخذ يدب فى قلب الشاعر وشعره حتى أنه جعلنا نأمل معه ، فالشهداء تصعد إلى ربى الفردوس وهم عناصر أمة تعود كونا متوحداً بالقرآن ومن فقد أصبحت المنابر والمحاريب معلنة الإنتفاضة والمقاومة ضد أعداء الأمة الإسلامية .

****

والشاعر فى هذه القصيدة نراه قد تفوق على ذاته ومصدر هذا التفوق نراه فى ذلك التصوير البارع والدقيق والمبتكر فى قوله :-

دم الأهلة فى المساء يقيم أعراس الشفق

وقوله :-

يلقى إلينا نار آيات القتال

وقوله :-

المجد الكليم

ولا يخفى ما فى هذا الوصف من معانى نابعة من قلب مكلوم وصدر مكظوم على مجد عظيم قد تولى .

ثم انظر إليه فى ذلك التصوير المبدع إذ يقول :-

صوت المآذن فى سراييفو تجمد

وكلمة تجمد يقصد بها الشاعر أنه أصبح لا روح فيه ولا تدرك معانيه حتى أنه أصبح لا يحرك المشاعر الإيمانية فى نفوس المسلمين الذين يحيو فى هذه المنطقة المنكوبة من أرض المسلمين.

****

ووجدان الشاعر فى هذه القصيدة يبدو وجداناً جماعيا (حيث يمضى بنا الشاعر إلى عطاءات الشهداء إلى المآذن فى سراييفو ، والقصيدة فى جوها العام تؤرخ لحدائق الشهادة ، ليعود المجد الكليم رغم الأسى وهى تستضىء بالقرآن الكريم منذ البداية لفظاً ومعنى وجاءت هذه الإستضاءه عفوية أشعلت فينا الحنين إلى الجهاد لتحرير الوطن الإسلامى من براثن الكفر أينما وجد ، وتغدوا الأزمه القصيدة المكررة فى أكثر من موضع نفيراً يقودنا إلى النفير :-

وإلى ربا الفردوس كل قوافل الشهداء
كالأشجار تصعد
لنعود بالقرآن كوناً قد توحد
كل المسافات إنتفاضة أمة تهوى محمد
كل الدماء حدائق تهدى عطاياها محمد[1]

****

(١) قراءة نقدية فى ديوان مدائن الفجر – بقلم محمد شلال الحناحنة.

المبحث الخامس
الدراسة الفنية
أولا :الألفاظ

الألفاظ دائما هى الأداة أو الوسيلة لإدراك القيم الشعورية فى الأعمال الأدبية سواء أكانت شعرية أم نثرية . وهى الأداة التى من خلالها ينقل لنا الأديب عالمه الشعورى والفكرى ، أو هى المادة الأدبية التى يصوغ بها الأديب أفكاره وانفعالاته (فالشاعر يتفاعل مع الطبيعة ثم يشكل هذا التفاعل والتناغم بالألفاظ مصورا لما حوله أو لبعض ما حوله ويقدمه لنا فى إطار يحرص – واعيا أو غير واع – على أن يضمنه أحاسيسه وأفكاره)[1].

ومن هنا تكون الألفاظ هى المحدد الرئيسى لصوت الأديب الخاص به فاللفظ المختار يعبرعن حقيقة نفس الشاعر فى لحظة إبداعه من ثورة أو هدوء لذلك فالناقد يقوّم العمل الأدبى من خلال صوت الشاعر المتمثل فى اللفظ ، واستخدام الشاعر للألفاظ من خلال السياق يجعلها وسائل اسلوبية للتعبير عن تجاربه فى شعره كله ، كاستخدامه لأدوات التوكيد ، وكذلك صيغ المبالغة ، والمشتقات ، والشاعر دائما يأتى بألفاظة مناسبة للغرض الذى يسوق فيه إبداعه ففى الحديث عن المرأة نجده يستعمل ألفاظا تناسب الجمال النسوى وقد يستعير من الطبيعة مظاهرها ليساعد على أداء ما فى داخله من أفكار تجاه هذه المرأة المثال عنده من أزهار ورياحين وربيع وخضرة إلى غير ذلك .

وكذلك فى شعر الشكوى والعتاب نجد أن الشاعر يعانى فكرة مؤداها شعوره بعداء الزمن ومطاردته لها والذى جعل فكرة الشكوى ملحه عليه هو ما لقيه الشاعر طوال حياته من أهوال وأرزاء ومن

---

(١) النقد الأدبى الحديث – د. أحمد كمال زكى صـ٣٩ .

هنا تأتى ألفاظه شديدة عالية النبرة ، وكلماته ذات صدى مرتفع وفى موطن إعلان العروبة والإسلام كقومية نجد ألفاظه المختاره ذات أبعاد إذ تعبر عن غضب الشاعر وثورته على الظروف والأحداث المؤسفة التى تعصف بهذه القومية العربية والإسلامية وهى ألفاظ مؤداها الرفض ، التهديد والنقد .

واللفظ فى العمل الأدبى قد حدد له النقاد معايير حتى يكون مستقيما واستقامته هى اعتداله ولهذا الاعتدال ثلاث جوانب هى :-

١-اعتدالها من حيث بعدها عن تنافر الحروف وهنا تكون معتدله من حيث النطق ذات جرس موسيقى بعمل على اثراء العمل الأدبى .

٢-اعتدالها من حيث الدلالة ، أى مراعاة وضعها لما وضعت لها وسيق فى سياقها من العمل الأدبى

٣-الجانب الجمالى حيث يتخير لها الأديب الموضع اللائق الذى يزينها ويكمل حسنها وجمالها حتى تنضم إلى قريناتها فى البيت الشعرى أو الجملة التعبيرية

وإذا نظرنا فى شعر الدكتور/ صابر عبدالدايم وجدنا أنه قد عنى باستقامة اللفظ وجزالته واعتداله وجماله ، والدراسة الفنية تقتضينا أن نحلل السمات اللفظية التى يتميز بها شعر الدكتور/ صابر لنستقرئ فلسفته الشعرية من خلال هذا التحليل ، وحتى يتسنى لنا استنتاج الدلالة من خلال هذا التحليل .

أولا الشاعر فى مدحه لرسول الله (ﷺ) يقول:

بقلبى من الأشواق يا خير مرسل ∴ لهيب به الأضلاع تكوى وتصطلى
بصحراء أفكارى غدوتٍ مشرداً ∴ ولى من حماكم خير مأوى ومعقل
طمئت وما أروانى الغيث كله ∴ فروحى هى الظمأى وقربك منهلى
وإن جلّ شوقى عن لسانٍ يبينه ∴ ففى القلب أقوال بلقياك تنجلى

هتافى من الأعماق ما دمت نائيا ∴ وما سفحت عينى دموع التذلل[1]

* * * * * * * * * * * * * * *

فلو أننا نظرنا إلى ألفاظ الشاعر من خلال هذا المقطع لتبين لنا ما يلى :-

١-جاءت ألفاظه مناسبة لجلال الموقف حيث أنه يقف موقف الخاشع بين يدى الرسول (ﷺ) وليس أدل على ذلك من قوله (الأشواق ، لهيب - تكوى - تصطلى ، حماكم مأوى ، معقل - الغيث منهلى ، دموع ، التذلل) .

وهذه الألفاظ لا تكشف عن نفسية الشاعر وأفكاره فحسب وإنما تكشف عن عاطفة وشوق قد أوصلاه إلى مرحلة الإصطلاء واللهيب من شدة الشوق إلى النبى الأعظم

٢-وكذلك استخدام الشاعر لما يدل على المبالغة لتحدث الموازنة بين شوقه وحنينه وما يلاقيه بسبب هذا الشوق مثل قوله لهيب .

وكذلك نجد الشاعر فى قصيدة اخرى فى مدح الرسول (ﷺ) إذ يقول فى مقطع منها :-

أبا الزهراء قد رقصت بقلبى ∴ مشاعر مالها عدٌ وحصرٌ
رسول الله حسبى منك حباً ∴ وأنى فى مديحك مستمر
بقلبى من هواكم نار شوق ∴ ولكن ما بها لفح وحرٌ
هواكم مثل روض عشت فيه ∴ وعينى من نضارته تقرٌ
فجنت ونورك الأسنى مشعٌ ∴ وفوق ربوع مكة فاح عطر

الجانب الثانى هو الجانب الدلالى :-

ويقصد بالجانب الدلالى هو استعمال اللفظ فيما وضع له بدقه . ولو أننا نظرنا إلى قصائد العروبة والإسلام فى ديوان مدائن الفجر مجتمعه ما وجدنا الشاعر قد جانبه الصواب فى التعبير بالألفاظ ذات الدلالة ، صحيح أن للكلمة أكثر من معنى ، فالشاعر يختار أحد هذه

(١) ديوان نبضات قلبين صـ٢٦ .

المعانى وقد يكون غيره أكثر منه ألفة ، ولكن المعنى الذى اختـــارد على حد تعبيرد هو أنسب المعانى لصياغة أفكارد

ثانيا :- الأسلوب

لكل شاعر أو أديب أسلوب يميزه عن غيره وإلا لكانت الأعمال الأدبية نسخاً مكررد أو مسخا لا قيمة لها . والشاعر دائما اســلوبه يعكس شخصيته ويبلور عاطفته ، فالشاعر له سمات اسلوبية قــد لا توجد عند غيرد من الشعراء ، ولم يكن معنى ذلك أنه يختلف اختلافا كلياً عن جميع الشعراء . وإنما يعنى ذلك أن تكون له طريقــة فــى صياغة شعرد تضمن له بعض الاستقلال ، ومن هنا فالأسلوب يعتبر هو المرآة العاكسة لشخصية الشاعر فيظهر انفعالاتــه وانطباعاتــه وبهذا يفرض نفسه على بيانه وأدبه ومن يكون شعره صورة صادقة لما تعتمل به نفسه فيتحقق له الصدق الشعرى والشعورى معاً .

وشعر الدكتور/ صابر يمثل ذلك أصدق تمثيل بما تحقق فيه من ذلك .

وإذا كان أدباء كل عصر تجمعهم بعض الملامح العامــة فــى الأسلوب فإنه لابد لكل أديب من الاعتماد على نفسه فى التفرد بعض الشيء عن أقرانه ليكون له أدبه الخاص وشخصيته المتفردة ، ومن هنا يصدق القول الذى يقول (إن للأسلوب صفات عامة تحقــق لــه الكمال وصفات خاصة تميز أديبا عن آخر) .

ولقد امتاز أسلوب الــدكتور/ صــابر بــالقوة ، والوضــوح . والجمال وهى وإن كانت سمات عامة إلا أن الشــاعر بصــدقه فــى التعبير جعل منها صفات خاصة ومناط ذلك هــو الشــاعر نفســه . فالشاعر إن أبان عما فى نفسه من فكر ومعانى يكون قد بلــغ حــد الصدق والابداع الفنى يقول أحمد الشايب (الإخلاص فى تصوير ما فى النفس من فكرة واضحة أو عاطفة صادقة تجعل الاسلوب مقبولا

، ويصبح من ثمَّ مرآة العقل والخلق والمزاج والتخييل سواء أكانت جميلة أم قبيحة ، مستقيمة أم مطربه) [1].

الجمال فى الأسلوب :- من أكثر السمات لزوماً لأسلوب

الشعر (الجمال) والجمال فى الشعر صفة نفسية تعتمد على اختيار الأديب وذوقه والأديب إن طابق لفظه معناه وبعد عن الخشونة أصاب جمال المعنى ، ولقد حرص الدكتور صابر على تحقيق الجمال فى اسلوبه ، إذ أنه كان ينتقى الألفاظ الجيدة ويحرص على التراكيب الواضحة التى يراعى فيها التناسب بين اللفظ والمعنى على أساس الموقف فالمواقف التى تستدعى الشدة يختار لها الألفاظ الجزلة والمواقف الهادئة يختار لها الألفاظ الرقيقة ، وفى مجال الاستشهاد نقرأ قوله من قصيدة (غابة النار):

هَبُوا جياعاً وفى بيداننا غرقوا ∴ ولم تمت فى دمانا غضبة الثأر
وجه السلام غريب فى مداننا ∴ وللغزاة فحيح كاسرُ ضار

فقد وفق الشاعر فى اختيار العبارات الملائمة الواضحة ، كما راع التطابق بين اللفظ والمعنى ، على نحو ما نرى فى اختيار الألفاظ الجزلة الملائمة لموقف الغزاة المعتدين أصحاب النبرة العالية والوحشية العاتية ، من مثل قوله :-

هَبُوا جياعاً ، غضبة الثأر فحيح كاسرُ ضار.

وفى المواقف الهادئة نراه يختار الألفاظ الرقيقة مثل قوله من القصيدة نفسها :-

تمزق الجسد الموصول من زمن ∴ وبيعت الأرض والجانى هو الشارى
حديقة النور أمست غابة النار ∴ لا ظل فيها ولا أطلال قيثار
شمس الحضارة فى أرجائها انطفأت ∴ وقصة البعث عادت بوح تذكار

---

(١) الأسلوب – أحمد الشايب صـ ١٧٥ المطبعة الفاروقية الاسكندرية سنة ١٩٣٩م.

فالموقف هنا موقف حسرة وحزن وكذلك جاءت ألفاظه دالة على الإنكسار والحزن ولا ينفع معها الألفاظ الجزلة لذلك استعمل من الألفاظ ما يناسب ذلك مثل ، حديقة النور – شمس الحضارة – أطلال قيثار ، وبهذا نستطيع أن ندرك الفارق بين التعبيرين ولقد حقق الشاعر التناسق الموسيقى ووفق بين اللفظ والمعنى وحركاتهما من ناحية وبين معنىالكلام وروحه من ناحية أخرى ونلمس ذلك في جميع شعره حيث أن شعره ((يتراوح بين الجزل والرقيق باختلاف المعانى والأغراض ، فالشاعر الحق هو الذى يعرف كيف يضع على قدود المعانى)) (١) .

والنماذج على ذلك كثيرة فى شعر الدكتور صابر .

إسمع إليه وهو يدعو للتأهب والاستعداد ليوم اللقاء ويحثهم أن يترسموا خطى أجدادهم إذ يقول بألفاظ جزلة تناسب الموقف مما يدل على جمال الأسلوب:-

يا أسود العرب هيّا للقاء ∴ فوراء الليل هالات الضياء
انظروا مجد الأولى قد سطروا ∴ صحف المجد وعاشوا فى إباء
سحقوا الظلم وشادوا عزهم ∴ ولهم مدّت أياديها السماء
إن خسرنا اليوم شبراً ففداً ∴ باتحاد الصف نجتاز الفضاء
فاجمعوا الشّمل وهبوا للظفر ∴ وسنجنى بعد غض الثمر

* * * * * * * * * * * * * * *

وكان الشاعر يعمل على وضوح الفكرة وقوة النسج وسلامته من الإغراب والتغريب والبعد عن الحوشى من الأساليب وكذلك كان زاهداً فى استعمال المحسنات البديعية إلا ما جاء منها عفو الخاطر

وللشاعر ملامحه الأسلوبية الخاصة حيث أنه كان يؤثر الوضوح والقوة والجمال معاً.

(١) الرسالة عدد ٤٢٧ بتاريخ ٨سبتمبر ١٩٤١م صـ١١١٢ .

فلقد جاءت أساليبه خالية من كل إبهام وغموض والذى جعل أسلوبه يمتاز بهذا الوضوح ما انعكست عليه نفسه من صفاء ووضوح ونقاء يعرفها فيه كلُ عارفيه وكذلك ساعد على وضوح أسلوبه وضوح الأفكار عنده، كما أنه وهو الأزهرى اللغوى الذى تتلمذ على مائدة القرآن والبيان النبوى مكنه ذلك من امتلاك ناصية اللغة فكان يتصرف فى تراكيبه إلى درجة الاحكام فمثلا نجده فى قوله من قصيدة مدائن الفجر والتى يقول فيها :-

معلق بين تاريخى وأحلامى ∴ وواقعى خنجر فى صدر أيامى
أخطو فيرتد خطوى دون غايته ∴ وما بأفقى سوى أنقاض أنقام
تناثرت فى شعاب الحلم أوردتى ∴ وفى دمانى نمت أشجار أوهامى
مدائن الفجر لم تفتح لقافلتى ∴ والخيل ... والليل ... والبيداء قدامى
والسيف والرمح فى كفىّ من زمن ∴ لكننى لم أغادر وقع أقدامى

* * * * * * * * * * * * * * *

فهذا مقطع من قصيدة بعنوان ((مدائن الفجر)) وهى تعد من فرائد الشعر المعاصر لما اشتملت عليه من رؤى إبداعية استخدم فيها الشاعر أدواته الفنية من رموز موحية

الصورة الشعرية فى مدائن الفجر

"مدخل" [ماهية الصورة ووظيفتها عند القدامى والمحدثين]

الصورة الشعرية كعنصر من عناصر القصيدة بتفاعله مع غيره من العناصر يعمل على تشكيل القصيدة ، والصورة هى جوهر الشعر وأداته فى الخلق أو الإبتكار ، وتشكيل موقف الشاعر من الواقع المحيط به وفق إدراكه الجمالى لهذا الواقع ، وكذلك استعماله للغة بعد إخراجها من الإطار المعجمى العام إلى السياق الشعرى لذلك عرف النقاد الصورة بأنها هى :-

((الشكل الفنى الذى تتخذه الألفاظ والعبارات بعد أن ينظمها الشاعر فى سياق بيانى خاص ليعبر عن جانب من جوانب تجربته))[1].

ومن هنا نعلم أن الشاعر يأخذ من الكلمة أساساً يصور من خلالها ما بداخله من أفكار إجتماعية أو نفسية وإذا نظرنا فى ديوان مدائن الفجر وجدنا صورة متنوعة من حيث الموقف فتارة تكون غائمة وتارة صورة مشرقة ففى مواطن الحزن تكون غائمة ونجد ذلك ماثلاً بكثرة فى قصائد العروبة والاسلام فى هذا الديوان إذ أنه يصور لنا حال المسلمين والعرب وما آل إليه على أيدى صليبى العصر ، ونجدها مشرقة عندما يتحدث عن أحوال العرب والمسلمين فى السابق حيث أنهم كانوا يخرجون من نصر إلى نصر ومن فتح إلى فتح فيتحدث عن روح يملؤها الأمل والبشر والتفاؤل.

وكثيراً ما يعتمد الأديب على الصورة والأخيلة التى تبرز ما يعتمل فى نفسه من مشاعر وأحاسيس وانفعالات ، وفى التعبير عن

---

(١) د.عبدالقادر القط – الاتجاه الوجدانى فى الشعر العربى المعاصر صـ٣٩١ ط٢ دار النهضة العربية ببيروت سنة ١٩٨١م.

تجربته تعبيراً حيّاً مؤثراً ، فالصورة فى معناها الجزئى والكلى هى الوسيلة الفنية لنقل التجربة الشعورية أو هى ((علاقة صريحة ، أو ضمنية بين تعبيرين أو أكثر تقام بحيث تضفى على أحد التعابير أو على مجموعة من التعبيرات لوناً من العاطفة ، ويكشف معناه التخيلى ، وليس معناه الحرفى دائما . ويتم توجيهه ويعاد خلقه إلى حد ما من خلال ارتباطه ، أو تطابقه مع التعبير أو التعبيرات الأخرى)) [1] .

وميزة هذا التحديد لمفهوم الصورة أنه يتجاوز الإستعارة والتشبيه إلى المجاز والتشخيص والرمز الوصفى والقصائد القصصية ، لذلك فقد وجدنا كثيراً من النقاد قد نوَّع الصوَّر فجعل منها :-

((صورة الفكر ، صورة الانطباع ، يظهر من خلال التأثير الحسى والإيحاء بالصورة الذهنية)) [2] .

وليست الصورة شيئاً جديداً فمنذ أن وجد الشعر وحتى هذا العصر الذى نحياه وهو قائم على الصورة إذ فيها أكبر العون على تقدير الوحدة الشعرية وكشف المعانى العميقة التى ترمز إليها القصيدة ، ومن هنا فمن الأولى أن نطل إطلالة موجزه تكشف لنا النقاب عن الصورة منذ العهد الأول بقرض الشعر أو منذ أرخ المؤرخون للأدب وهو ما قبل الإسلام بمائة وخمسين عاما .

فالصور تختلف من شاعر إلى شاعر أخر من حيث استخدام الشعراء لها ، كما أن الشعر الحديث يختلف عن الشعر القديم فى طريقة استخدامه للصور فمثلا امرؤ القيس فى معلقته التى مطلعها :

قفا نبكى من ذكرى حبيب ومنزل .·. بسقط اللوى بين الدخول فحومل

---

(١) الصورة والبناء الشعرى د.محمد حسن عبدالله صـ٣٧ .
(٢) نفسه .

ففى الأبيات التى يقول فيها:

كأن أبانا فى أفانين ودقه ∴ كبير أناس فى بجاد مزمّل
كأن سباعاً فيه غرقى عشية[1] ∴ بأرجائه القصوى أنابيش عنصل

فالنظرة العابرة توحى بأن الشاعر وقف يلتقط الصور المتتابعة وكأن كل هدفه من هذا الشعر هو ((التصوير)) ولكن بالتأمل الفاحص لهذه الصور نجد أنها فى معظمها صور محسوسة منظورة، وقد نعجز عن إدراك العلاقة بين صورة ((حركة البرق ولمعان اليد فى أيامنا هذه وإلى جانب الشعراء الذين يغرمون بالصورة لذاتها بين الأقدمين نجد الصورة تستخدم للإقناع بصورة غير حاسمة إذ ليس فيها قوة المنطق الذهنى ، ولكن لها بعض التأثير المقنع ، وقد بلغ أبو تمام بالصورة فى هذا المنحى حدَّ البرهان ، ولو تتبعنا صوره لوجدناها تخدم هذا الغرض فى أحوال كثيرة))[2].

والبحترى نجده يلتقط عدة صور لمظاهر الطبيعة ائتلفت وتعاونت فى إبراز الصورة المتكاملة فى ذهن الشاعر عن جمال الربيع من زهر وشجر ونسيم ومياه جارية وأرض كاسية إذ يقول:

أتاك الربيع الطلق يختال ضاحكا ∴ من الحسن حتى كاد أن يتكلم
وقد نبّه الفيروز فى غسق الدجى ∴ أوائل وردٍ كنّ بالأمس نوّما

وإذا سرنا الهوينى بعد البحترى لنطلّ إطلالة بسيطة على ديوان المتنبى وجدناه فى الطور الأول من حياته يمدح بدر بن عمّار وكان قد خرج معه فى رحلة صيد ، ففى هذه الرحلة وقعت عين أبى الطيب على أسد قد انقضَّ على فريسة له ، فأعجله بدرابن عمار فضربه بسوطه فأنشأ فى ذلك قصيدة تعد لوحة تصويرية قد رصدت بكل

(١) وتروى (كأن السباع فيه غرقا) .
(٢) فن الشعر د.إحسان عباس طبعة دار بيروت عام ١٩٥٥م صـ ٢٢١ .

حذق ما وقع وما أضفى على شخصية البطل ما أضاف لها من خلال تصويره لها وهذه القصيدة مطلعها :-

فى الخدّ إنْ عزم الخليط رحيلا ∴ مطر يزيد به الخدود مُحولا

فنرى المتنبى يصور هذه الواقعة وتبدأ فى القصيدة من البيت السابع عشر إذ يقول:

وردَ إذا ورد البحيرة شارباً ∴ وَردَ الفرات زئيره والنيلا
متخضب بدم الفوارس لابس ∴ فى غيلة من لبدتيه غيلا
فى وحدة الرهبان إلا أنه ∴ لا يعرف التحريم والتحليلا
يطأ السرى مترفقا من تبهه ∴ فكأنه آس يجس عليلا

وبهذا لا يخفى ما فى التصوير من روعة وإبداع ورسم بالكلمات

وإذا كانت الصورة هى الشكل الفنى الذى تتخذه الألفاظ والعبارات بعد أن ينظمها الشاعر فى سياق بيانى خاص ليعبر عما يحس من أفكار اجتماعية أو ذاتية ، وبهذا يكون عنصر الصورة فى القصيدة غير مقتصر على اللفظ وحده ، أو المعنى وحده وإنما لهما معا ومن هنا فقد تنبه إلى هذا المعنى قدامى النقاد حتى أنها عدت من أهم القضايا إشكالية بينهم وأخذت عندهم أشكالا متنوعة فمنهم من أطلق عليها مشكلة ((الصورة والمضمون فى الأدب)) أو ((مشكلة ، الشكل والمحتوى ، أو اللفظ والمعنى ، ولعل الجاحظ أقدم من أثارها من النقاد العرب إثارة واسعة ، فقد تحدث عنها فى كتبه ، وهو فى كل جانب من أحاديثه يرفع من شأن اللفظ وينتقص من شأن المعنى، بل أنه ربما يسقط المعنى إسقاطاً ، فليس له فى رأيه فضل ولا مزيه ولا قيمه فنية إذ يقول:

{ والمعانى فى الطريق مطروحة يعرفها العجمى والقروى والبدوى ، وإنما الشأن فى إقامة الوزن وتخير اللفظ وسهولة المخرج ، وفى صحة الطبع وجودة السبك}[1] .

(١) فى النقد الأدبى د.شوقى ضيف .

وقد عرض لهذا الموضوع ولقضية اللفظ والمعنى بعد ((الجاحظ)) كثير من الأدباء والنقاد وعلى رأسهم بن ((قتيبة)) ، فقد كان يرى أن البلاغة لا تقتصر على اللفظ فهى قد تكون فيه ، وقد تكون فى المعنى وقد تكون فيهما جميعا ، وقد تنقصها ، فليس اللفظ وحده عنده هو الذى يعطى النماذج الأدبية قيمتها من فن وجمال ، فالمعنى يشركه فى ذلك إذ يوصف بالجودة أو الرداءة والقبح[1].

وكذلك تناول هذه القضية بالدرس والتحليل والتفصيل ((قدامة ابن جعفر)) فقد تكلم فى كتابه { نقد الشعر } عن جودة اللفظ ورداءته وجودة المعنى ورداءته ، كما تكلم عن ائتلافهما وما قد يطور هذا الائتلاف من ضعف

وكذلك صنع أبو هلال العسكرى صنيع { قدامة } وابن { قتيبة } واحتفل بالمعنى واللفظ جميعا فى كتابة (الصناعتين)

ولم يعترف (بن رشيق) بالفصل بين اللفظ والمعنى كما فعل سابقوه من النقاد إذ أنه يرى أنهما متلازمان وأن ما يصيب أحدهما من آفة يصيب الأخر ، وهذه نظرة دقيقة من غير شك ، فاللفظ ، فاللفظ والمعنى أو الصورة والمضمون ليس شيئين منفصلين فهما كالكأس وما يكون فيه من شراب ، بل هما مترابطان ترابط الثوب بمادته[2] .

ولقد جاء عبدالقاهر فأحس بوضوح فكرة العلاقات التى يقول بها بعض أصحاب الفسفة الجمالية ، وأنها مدار الجمال فى النموذج الأدبى فأخذ يشرح تلك العلاقات ، وظل يحاول إثبات ذلك فى كتابه .

---

(١) راجع فى ذلك كتاب – الشعر والشعراء – ابن قتيبة من صـ٦-١١ .

(٢) فى النقد الحديث د.محمد عبدالسلام صقر صـ١٣٤

وقد أوضح هذه القضية وجلاها وفصلها تفصيلا ، وانتهى فى كتابه أسرار البلاغة إلى :-

((أن المعيار الحقيقى لهذا النظم الذى ألحَّ على تفسيره وشرحه إذ يقول : أن العلاقة جاثمة بين الألفاظ وبين المعانى وأسماها النظم)) [1] .

(١) فى النقد الأدبى د.شوقى ضيف صـ١٦٥ .

الصورة الأدبية عند الأدباء والنقاد المعاصرين

إذا نظرنا إلى نقادنا العرب ، وجدنا منهم من سار على نهج أصحاب النظرة الكلاسيكية الغربية فنجدهم يعلون من شأن ((الشكل)) ويعتدون اعتداداً بالصياغة والكمال التام فى العبارة، على حين يتحرر الرومانسيون من هذا الإعتداد إذ نجدهم يقدمون المعنى على ((الشكل ، اللفظ)) بل هم لا يعترفون بأن هناك صورة معينة للتعبير الأدبى ويرون أن كل عبارة صالحة لهذا التعبير مادامت تؤديه أداءً سليماً وإذا كانت الرومانسية ظهرت كثورة على الكلاسيكية ، فإننا نجد أن جماعة ((الفن للفن)) قامت كثورة على الرومانسية يقول د.شوقى ضيف { ونشأت كرد فعل للرومانسية جماعة نادت بمذهب الفن للفن ، فالشعر فن جميل وجماله ينبغى أن يكون فى ذاته بغضّ النظر عن محتوياته أو مضامينه ، فالقصيدة مثلا ليس موضوعها هو الشىء المهم فيها ، وليست معانيها وأفكارها كذلك ، وإنما المهم أن تغذى حاسة الجمال فينا بما يؤدى الشاعرفيها من احساسات وأخيلة جميلة.

وبعد ذلك جاء الرمزيون فخطوا خطوة نحو العناية بالشكل ، فقد اعتمدوا على ما تؤديه الألفاظ من رمز وتلميح وإيحاء عن طريق مجازاتها وأصواتها وقيما الموسيقية.

أما الواقعيون فقد مكنوا للعناية بالمضمون ، وإن كانوا لا ينسون الشكل ولا ينكرونه)) [1] .

وفى شعرنا الحديث تكثر الصور وتزداد ، ونلاحظ أن الشاعر المعاصر فى كثير من حالاته يحب أن يبدع صوراً جديدة عاكسة لما يدور بخلده مترابطة فى مجموعها ، والصورة قد تكون غائمة غامضة ، وليس معنى هذا أن الغموض وسيلة من وسائل الإيحاء

(١) فى النقد الأدبى د. شوقى ضيف.

فيها ، بمعنى أن الصورة الشعرية لا ينبغى أن تكون غامضة . أو أن هذا الغموض شرط من شروط جودتها أو هو لازم من لوازم جمالها وحسنها.

وكذلك ((ليس التشخيص ، أو تراسل الحواس ، أو مزج المتناقضات أو ما إلى ذلك من الأساليب المجازية هى المقومات الأساسية لتشكيل الصورة الشعرية الحديثة ، وليس من الواجب أن تعتمد الصورة على المجاز فى جميع الأحوال ، فقد تكون الصورة على قدر كبير من الوضوح وقد تكون خالية من أى مجاز لغوى ، ومع ذلك ففيها من الطاقات الإيحائية ما ليس فى كثير من الصور التى تقوم على المجاز المفتعل)) [١] .

والصور لا تقاس جودتها من خلال ما تحويه من مجازات وإنما المعيار الحقيقى للجودة هو قدرتها على الإشعاع وما تزخر به من إيحاءات ((ومقاس جودة الصورة فى النهاية هو قدرتها على الإشعاع وما تزخر به من طاقات إيحائية ، فمقدار ثراء الصورة الإيحائية ذات الطاقة المعبرة ترتفع قيمتها الشعرية)) [٢] .

فنجد حين نقرأ من تراثنا القديم قول ذى الرمة عن ذلك الاحساس بالذهول والأسى الذى اعتراه حين عاد إلى منزل أحبابه فوجده خالياً موحشاً :-

عشية مالى حيلة غير أننى ∴ بلقط الحصى والخط فى الترب مولع
أخط وأمحو الخط ثم أعيده ∴ بكفى ، والغربان فى الدار وقع

فالشاعر استطاع عن طريق إلتقاطه لعناصر الصورة أن يشحنها بإيحاءات الذهول والأسى الذى أصابه حين صدمه منظر الدار الموحشة فجلس فى ساحتها حزينا شارداً يلقط الحصى فى ذهول ، وينكت بيده خطوطا فى التراب ثم يعود فيمحوما خطه ليعود فيخطه

(١) عند بناء القصيدة العربية الحديثة د.على عشرى زايد صـ٩٨ .
(٢) نفسه صـ٩٩ .

من جديد ، والغربان تسقط حوله فى الساحة الموحشة ، تضاعف من الإحساس بالأسى واللوعة والذهول .

فهذه صورة شعرية رائعة بكل مقياس رغم أن العلاقات بين عناصرها ومكوناتها علاقات طبيعية ومألوفة ، وليس فيها أى تحطيم للعلاقات العادية والمنطقية بين الأشياء ، أو بتعبير آخر ليس فيها استخدام مجازى للغة ولكن الشاعر استطاع من خلال اختياره البارع لعناصر صورته والعلاقات بينها أن يوحى بكل معانى الذهول والشرود والحزن التى أراد أن يعبر عنها ، ومثل هذه الصورة ليست قليلة فى تراثنا الشعرى القديم ، وشعرنا العربى المعاصر حافل بمثل هذه الصور التى لا تقوم على المجاز أو على تحطيم العلاقات بين عناصرها , ومع ذلك تزخر بالقيم الايحائية والطاقات التعبيرية واسوق مثلا علي ذلك من شعر استاذنا الدكتور/محمد رجب البيومي من ديوانه (صدي الايام) في قصيدة بعنوان – تعارف يقول في مطلعها:-

لا أنت تبدني السلام ولا أنا ∴ فيما السكوت وبيننا ما بيننا
بالأمس قد كتم الفؤاد حنينه ∴ واليوم طاف به الجنون فأعلنا
متشاغل بك عنك رغم إرادتي ∴ فأظل أقفز من هناك إلي هنا

وهذه صورة شعرية واضحة المعالم لم يلجأ الشاعر فيها إلي الرمز أو المجاز أوالغموض وهو فيها كأنه رسام بكلماته فلو أن رساما قرأهذه الأبيات لاستطاع أن ينتج لنا لوحة زيتية لشاب يقف بجوار بيت محبوبته ينتظر شروق كوكبها متلهف علي رؤيتها . ومع ذلك عندما تبدوبطلعتها البهية , فيوهمها أنه متشاغل عنها بشئ غيرها .

وبعد :ـ ما وظيفة الصورة في القصيدة إذن ؟

إن وظيفة الصورة الشعرية أن تكون أداة من الأدوات الفنية التي يجسد بها الشاعر رؤيته الخاصة , وحدد بها أبعادها وتخومها فهي

إذن لبنة من لبنات بناء أكبر هو القصيدة . ولابد أن تتسق مع بقية اللبنات وتساهم معها في تنمية المسار الشعوري والفكري والنفسي في القصيدة لتصل به إلي مداه . وقيمة الصورة الشعرية تقاس فنيا بمدي أدائها لهذا الدور . وكذلك الصورة تؤدي وظيفتها إذاخلت من العيوب التي تعتري بناءها فتوقفها عن أداء مهمتها الإيحائية وتهبط بالتالي بقيمتها الفنية من وجهة نظر النقد الحديث وأهم هذه العيوب (الوقوف عند التشابه الحسي . فالوظيفة الأساسية للصورة هي تصوير العالم الداخلي للشاعر إن صح هذا التعبير . بكل ما يموج به من مشاعر وخواطر وهاجس وأفكار . وإن كان الشاعريوظف في الإيحاء بهذا العالم الداخلي الشعوري معطيات العالم الخارجي المحسوس فإنه لاينبغي أن يقف عند هذه المعطيات الحسية . مكتفيا بتسجيل المتشابهات المحسوسة بينها . وإنما لابد وأن يحول هذه المعطيات إلي أدوات للإيحاء بواقعه النفسي الخاص . ومن ثم فإن الوقوف عند تسجيل التشابه الحسي الملموس بين عناصر الصورة يعد عيبا من العيوب الخطيرة في تشكيل الصورة ووظيفتها . علي أن رصد التشابه وتسجيله وعدم توظيفه إيحائيا . وإلا فإن كثيرا من الصور الشعرية البارعة تقوم علي مثل هذا التشابه الحسي . ولكن الشاعر يتجاوز هذا التشابه وينفذ من خلاله إلي البوح بمكنون نفسه الدفين[1] .

ومن العيوب التي تعوق الصورة عن أداء وظيفتها أيضا (التنافر) علي أن التنافر علي لونين أحدهما يتمثل في (تنافرعناصر الصورة) والثاني يمكن تسميته (تنافر الصور) . وتنافر الصورة وعناصرها يتمثل في أن يكون الوقع النفسي لأحد طرفي الصورة مناقضا لواقع

(١) عن بناء القصيدة العربية الحديثة د/ علي عشري زايد صـ ١٠٤-١٠٥ .

الطرف الآخر الذي يفترض فيه أن يدعمه ويقويه (وهذا النوع من التنافر غالبا مايكون نتيجة لولع الشاعر برصد التشابه الحسي بين الأشياء دون أن يفطن إليها أو ما بين هذه العناصر المتشابهة من تنافرمن ناحية إيحاءاتها النفسية) [1] .

وكذلك يضعف الصورة ((أن تكون برهانية عقلية لأن الاحتجاج أقرب إلى التجريد من التصوير الحسى الذى هو من طبيعة الشعر ، ثم إن الاحتجاج تصريح لا إيحاء فيه ، والتصريح يقضى على الإيحاء الذى هو خاصة من خصائص التعبير الفنى))

وبقى أن نطرح سؤالا وهو :- هل للصورة علاقة باللفظ ؟

لو ذهبنا نستنطق كتاب أنا والشعر للشاعر الشامى شفيق جبرى لوجدناه يأخذ رأياً للمستشرق ((ردوس)) فى كتابه ((الخطيب العصرى)) والذى يقول فيه ((ربَّ كلمة تمر بذهن رجل ذى مخيلة فتمثل له فى هذا الذهن عالما بجملته ، أو حكاية نادرة من نوادر التاريخ ، أو منحى من مناحى الطبيعة أو مدينة من المدن أو عصراً من العصور)) .

يقول شفيق جبرى :- هذا قول لا أشك فى صحته وقد جربته فكانت الألفاظ توحى إلى بالمعانى فى كثير من الأوقات ثم يؤكد شفيق جبرى رأيه فى علاقة اللفظ بالصورة من خلال قول ابن الأثير عن أبى الطيب (أن المتنبى كان إذا خاض فى وصف معركة كان لسانه أمضى من نصالها ، وأشجع من أبطالها ، وقامت أقوله للسامع مكان فعالها حتى يظن أن الفريقين والسلاحين قد تواصلا وهو يصف بلسانه ما أداه عيانه) وبهذا يكون السر فى تفوق أبى الطيب فى وصف المعارك الحربية إنما هو أن ألفاظه جاءت مناسبة لصور

(١) نفسه صـ١٠٧ .

المعارك التى يصفها ، ولولا هذا التناسب لذهب جمال شعره ، فالمطابقة بين اللفظ والصورة هو سر الشعر .

وبعد هذه الجولة عن الصورة منذ بدايتها وحتى الصورة فى العصر الحديث بقى لنا أن نسأل سؤالا وهو هل الصورة بكل ما لها من وظائف قد وُظفت فى شعر الدكتور/ صابر ؟ - وهل كانت الصورة فى شعره ذات علاقة ضمنية أو صريحه بين تعبيرين بحيث تضفى على تعبيره لونا من العاطفة وتكشف المعنى التخيلى أم لا ؟

وبالإجابة على هذا التساؤل نقول :-

لقد كان الشاعر الدكتور/ صابر عبدالدايم ملء السمع والبصر ترن قصائده فى العالم العربى فتلقى من الإحتفاء والترحيب ما لا يزيد عليه وإذا تلمسنا الصورة فى شعره وجدناها كثيرة لأنه يؤثر الصورة على غيرها من الأساليب التعبيرية فلو أننا عمدنا إلى إحدى قصائده وهى قصيدة مدائن الفجر وهى تبلغ خمسة وأربعين بيتاً كل بيت منها صورة بمفرده وهذه الصور تعتبر صوراً جزئيه تؤدى إلى صورة كلية وهى القصيدة إنظر إليه فى المطلع إذ يقول :-

معلق بين تاريخى وأحلامى .·. وواقعى خنجر فى صدرى أيامى

فى هذا المطلع نجد الشاعر يكشف عن نفسه وعن مدى حزنه وألمه من واقعه المر المؤلم حيث أن له تاريخاً ، مشيرا بذلك إلى ما سطره الأباء والأجداد من مجداً مؤثل ، وكذلك له أحلام هى بعدُ لم تحقق وهو بين أحلامه وتاريخ أمته معلق لا هو يستطيع أن يحرز مثل ما أحرزه الأسلاف وما هو بمستطيع أن يبلغ غاية حلمه وأمله وإنما يصور نفسه بأنه معلق بين هذا التاريخ وتلك الأحلام والآمال العريضة.

وأنا لا أحسبه تصويراً وفقط بل هو تجسيد وتشخيص ، بل ورسم بالكلمات إذ أنه فى الشطر الثانى يجسد المعنويات فيحيلها إلى ماديات ملموسة حيث يجعل من واقعه وواقع أمته خنجرا فى صدر

أيامه وكأنه يقول :- لا أمل يشرق فى سماء أيامه وكأنه يئس من نصر قريب يعيد مجد الأمة الزاهر ، وفى البيت الثانى والثلاثة التى تليه نجده يقول :-

أخطو فيرتد خطوى دون غايته ∴ وما بأفقى سوى أنقاض أنغام
تناثرت فى شعاب الحلم أوردتى ∴ وفى دمائى نمت أشجار أوهامى
مدائن الفجر لم تفتح لقافلتى ∴ والخيل والليل والبيداء قدامى
والسيف والرمح فى كفىّ من زمن ∴ لكننى لم أغادر وقع أقدامى

فى البيت الأول من هذه الأبيات نجده يتحدث عن سيره نحو الأمام إلا أن مسعاه لم يبلغ غايته وكل الذى يستطيع فعله هو قرض الشعر على قيثارة النغم الحزين ثم يصور الحلم ذا شعاب وطرق متفرقه وكأنه يريد أن يقول إنه صاحب أمال عريضة لأمة انهدت قواها وأصبحت لقمة مستثاغة لكل طامع ، ومن كثرة ما تمناه من تحقيق لأحلامه يصور أن أعضاءه وأوردته صارت أشلاء متناثرة تناثر أحلامه .

ثم يصور لنفسه ولأماله التى يريد تحقيقها قافلة لها عدة وعتاد فى صحراء مترامية الأطراف ومع ذلك لم تفتح له مدائن الأمل والنصر (مدائن الفجر) .

ويستطرد فيبين أنه ممسك بسيفه ورمحه منذ زمن بعيد ومع ذلك لم يتقدم نحو النصر خطوة.

إذن الصور شاخصة ماثلة وفى كل صورة ترى الشاعر فناناً بكل ما تحمله الكلمه من طاقات إيحائية ، فلو أننا أردنا أن نرسم لكل صورة من صوره صورة زيتيه لأمكننا ذلك ففى البيت الأول يصور على أنه رجل عُلّق بين مجد الماضى وخيبة الأمل فى الحاضر بل لم يكتف بذلك بل جعل من عصره جسداً قد اغمد الخنجر فى قلبه فلم يستطع حراكا ، وكذلك لكثرة أحلامه ترسم لوحة لرجل تناثرت أعضاؤه حتى سارت أشلاء وفى النهاية لم يجد أحلامه إلا شجرة

نمت على أرض من الوهم ، وما أروعه عندما بلغ حدّ النضج الفنى حين صور أحلامه وآماله على أنها قافلة حربيـة مجهـزة بالعـدد والعتاد ومع ذلك عادت (بخفى حنين) فلم تفتح لها المدن أبوابهـا بل استعصت عليها ، ولا يخفى ما فى هذه الصور من رمز وايحـاء لما نحن عليه من واقع عربى أنهك شعوبه ماديا من أجـل السـلاح والعتاد وتجييش الجيوش ومع ذلك لم نغادر وقع أقدامنا .

ألا يجدر بنا بعد ذلك أن نطلق على شاعرنا أنه كالمتنبى فى أنه إذا خاض فى وصف معركة كان لسانه أمضى من نصالها ، وأشـجع من أبطالها ، وقامت أقوله للسامع مكـان فعالهـا حتـى يظـن أن الفريقين والسلاحين قد تواصلا وهو يصف بلسانه ما أداد عيانه

والصور كثيرة ومتنوعه حيث أن الصور فى هذه القصيدة جاءت بعضها غائمه وفى البعض الأخر مشرقة وإن كان معظمها غائما لما جثم على صدر الأمه من احتلال وحروب والشاعر يستحضر كل ذلك ، فأين فلسطين ؟ وما حال العراق ؟ وماذا عن لبنان ؟ ومـا خبـر أفغانستان منّا ببعيد .

وأذكر ما فى القصيدة من صور مبتكرة على سبيل المثال لا على سبيل الحصر فمثلا يقول :

والمـوج يقـذفنى أشـلاء أنسـام ∴

وقوله:

أدور منقسـما فـى غـير دائرتـى ∴ ولسـت أبصـر إلا ظـل ألامـى

ثم يتحدث عن الوطن العربى فيقول :-

هـذا لسـانك مسـجون تقيـده ∴ مواقـف الـوهم مـن زيـف وإحجـاد
وذى خطـاك بـلا درب يصـاحبها ∴ وذى رؤاك بـلا لـون وأعـلام
وذى حـدودك بـالنيران مضـرمة ∴ وخلفهـا النـاس تـرع مثـل أغنـام
أعـرتهم منـك أذناً غـير واعيـة ∴ فحنطـوك وقـالوا الصـاعد النـامى

وقوله :

فصرت عبد الحدود الحارس الحامى

وقوله عن العدو الغاشم

فى حمأة الطين لا يحلو لهم نغم ∴ سوى انفجار الرزايا فوق أيتام

وقوله

فأورقت بالمنايا الحمر ساحتنا ∴ ولوّنت بدماء الحرّ أعلامى

كل هذه صور غائمه لا أمل يرتجى معها إلا أن الشاعر بما جبل عليه وما حفلت به موهبته من أن النصر قريب وأن الأمل فى وجه الله محقق لا يغيب فنراه يختتم قصيدته بصور مشرقه وإن كانت قليلة إذ يقول :-

فهل نعود كما كنّا بنى رحم ∴ نقضى على هاتف فى النفس قسّام

نعود من غربة للتيه تطعمنا ∴ ونرقب الفجر يأتى بعد إظلام

ونحمل السيف فى كف موحدة ∴ نذود عن وطن فى فك إجرام

ترنوا لبدر وفجر الحق فى أحد ∴ تهفو إلى أسد للشرك قصام

فمن هناك تعود الآن قافلتى ∴ وتبصر الفجر فى آفاق اسلامى

تعود فى ثبج الإسلام سابحة ∴ والموج حول ضياها مثل أعلامى

ملآى حدائقها بالعشق يسكننا ∴ وفيه نسكن قوما بعد أقوام

هذه الأمانى لا تخبو بذاكرتى ∴ وقد تداعت إليها أول العام

الموسيقى الشعرية

الأدب شعر ونثر ، والنثر كلام مرسل لا قيد عليه من وزن أو قافية ، أما الشعر حتى يكون شعراً صحيحا فلابد من أن يصاغ صياغة موزونة يحكمها نظام صارم فى الإيقاع ، ودقة الحركات والسكنات وطريقة الجرس والإيقاع .

والشعر يعمل على إثارة الشعور واهتزاز الوجدان، وهو يعمل على بعث الاحساس بالجمال، وحتى يصل بنا إلى هذه النتائج فلابد من استخدام بعض الوسائل ، ومن أهم هذه الوسائل (الموسيقى) أو القالب الشعرى الذى يصب فيه الشاعر تجربته وهو ما يعرف بالوزن والقافية ومن هنا فبحور الشعر الخليلية ومعها القافية هى من أفضل التجارب الموسيقية فى الشعر العربى، فكل محاولات التجديد فى الشعر التى تمردت على الأبحر الخليلية قد باءت بالفشل الذريع ، إذن الشعر كما توارثناه ملتزم بأصول وقيود ومن هنا فلابد للشعر المعاصر من الإلتزام بهذه الأصول والأسس حتى نسميه شعرا نفخر به ، وبهذا لابد وأن يقام الشعر على أمرين هما الوزن والقافية، والإيقاع.

فالوزن هو القالب الخارجى الذى يصب فيه الشاعر تجربته والوزن ملتزم بأبحر الشعر العربى المعروفة فى علم العروض وهى أوزان يصعب تغييرها أو التخلص منها يقول إبراهيم أنيس :-

((التجديد فى الأوزان نادر وتطورها بطىء تمر عليه القرون والأجيال دون أن يصيبها ما يسترعى الانتباه ، أو يلفت النظر . وذلك لأن ألفة الوزن وشيوعه فى البيئة اللغوية يتطلب زمنا طويلا وإنتاجاً شعريا كثيرا حتى يعتاده جمهور كبير من السامعين ويستسيغوا ما فيه من نغم وموسيقى)) [1] .

---

(١) إبراهيم أنيس – موسيقى الشعر صـ١٨ ط٥ مكتبة الأنجلو المصرية سنة ١٩٧٨م.

والدكتور صابر عبدالدايم شاعر عربى مطبوع ملتـزم بأصـول الشعر العربى، كيف لا؟ وقد فطم على موائد الشعر العربى الأصـيل فى رحاب الأزهر الشريف وقد نظم شعره ملتزما بأوزانه وقوافيه فقد جاء شعره ملتزما بالوزن والقافية سواء شعره العمـودى أو شـعر التفعيلة عنده ، وهذا يدد مقدره على صياغة الشعر فى شتى صوره ، وصابر عبد الدايم دائما يختار بحرا مناسبا لموضوعه وفكرته التى يريد أن يصوغها شعرا حيث أن البحر المناسب لوصف المعـارك لا يشبه البحر المناسب لوصف العواطف والغزل ، وبهذا يكون أصـعب شئ على الشاعر عندما تختمر لديه فكرة عمل أدبى جديد هو إختيار البحر الذى يصب فيه تجربته حتى يناسب بين الوزن وبين الفكـرة والموضوع ، ولهذا وجدنا شاعر الشام شفيق جبرى فى كتابه ((أنـا والشعر)) يؤكد ذلك حيث استشهد على ذلك ببيت شوقى والذى يقول فيه :ـ

حـف كأسـها الحبـاب ... ∴ فهـى فضـة ذهـب

فهذا البيت من بحر المقتضب وهو على الشكل الأول منه

مفعـلات مسـتعلن ... ∴ مفعـلات مسـتعلن

وهذه القصيدة تبلغ سبعين بيتا قالها شوقى فى وصـف حفلـة (رقص) فى قصر عابدين ، وجبرى يرى أن الرقص من الأغـراض الخفيفة والتى يناسبها الأبحر الخفيفة والقصيرة مثلها ، مثل الهـرج والمقتضب ، ومجزوء الوافر ، ومجزوء الكامل وكذلك استشهد ببيت لأبى الطيب المتنبى فى وصف الحرب يقول فيه :-

على قدر أهل العزم تأتى العزائم ∴ وتـأتى علـى قـدر الكـرام المكـارم

وهذا البيت من بحر الطويل الذى تفاعيله :-

فعولن مفاعيلن فعولن مفاعيلن ∴ فعـولن مفـاعيلن فعـولن مفـاعيلن

وهذه القصيدة جاءت على الشكل الأول منه وهو ما كان عروضه مقبوضة وضربه مقبوضا كذلك وتكون صورته هكذا :-

فعولن مفاعيلن فعولن مفاعلن ∴ فعـولن مفـاعيلن فعـولن مفـاعلن

وهذا البحر على رأى شفيق جبرى يناسب جر الحديد وزحف الجيش وضرب الهامات دليل أيضا على أن مثل هذه الأغراض البالغة الأهمية والجدية يناسبها البحور الطويلة)[1] .

ومع هذا فلنا رأى وهو أن الشاعر المقتدر يستطيع أن يطوع البحر الشعرى والوزن الايقاعى لأى غرض أو فكرة يريد أن يعبر عنها وإن كان شفيق جبرى ساير النقاد القدامى فى ذلك من أمثال (ابن طباطبا)[2]، (أبو هلال العسكرى)[3]) ولكن للنقاد المحدثين رأى أخر ومن هؤلاء النقاد المحدثين ناصر الدين الأسد فى كتابه ((القيان والغناء)) والدكتور/ محمد محمد حسين فى كتابه ((أساليب الصناعه)) والدكتور عز الدين اسماعيل فى كتابه ((التفسير النفسى للأدب)) ، والدكتور شكرى عياد فى كتابه ((موسيقى الشعر العربى)) يقول ((إن دراسة الإيقاع بمعزل عن المعنى محاولة مشكوك في قيمتها ، فالمعنى هو بلا شك العامل المهيمن فى اختيار الشاعر للمؤثرات الإيقاعية التى يحدثها ، والإيقاع ليس شيئا فيزيائيا، ليس شيئا من طبيعة الأصوات نفسها ، وإن نسبناه إليها . إنما هو فى الواقع إيقاع للنشاط النفسى الذى من خلاله ندرك لا صوت الكلمه فقط ، بل ما فيها من معنى وشعور))[4] .

---

(١) راجع فى ذلك ((أنا والشعر)) شفيق جبرى صـ٨٨ وما بعدها المطبعه الكمالية سنة ١٩٥٩م.

(٢) ابن طباطبا ((عيار الشعر)) تحقيق طه الحاجرى ، محمد زغلولسلام صـ١٩ طـ القاهرة سنة ١٩٥٦م .

(٣) الصناعتين صـ١٣٩ على محمد البيجاوى ، محمد أبو الفضل ابراهيم القاهرة ١٩٥٢م .

(٤) موسيقى الشعر العربى شكرى عماد صـ١٥٤ طـ٢ دار المعرفة سنة ١٩٧٨م.

إذن المعول عليه فى قضية الإيقاع هو الشعور والصدق فيه أو ما يسمى ((النشاط النفسى)) إذن المقاطع وتتابعها لها إيقاع وجمال هذا الإيقاع لا يكمن فى التتابع للمقاطع وحده وإنما يضاف إلى هذا التتابع عنصر التوقع حيث أن التكرار لوزن معين يخلق فينا حساً توقعياً يضاف إلى عنصر الإيقاع بمعنى أن هذا التكرار والتتابع للمقاطع يجعل السامع أو المتلقى يتوقع كلمة من الشاعر قبل أن ينطقها تعمل على التأثير فيه أكثر من غيرها وبهذا يكون الشاعر أخذ بمجامع لب المتلقى فيشركه معه فى أفكاره ومضامينه والذى ساعده على ذلك إنما هو عنصر الإيقاع والوزن الشعرى المتكرر والمتتابع .

ومن النقاد الذين ساهموا فى هذه القضية وهى قضية اختيار الوزن أو البحر الشعرى بناء على المعنى أو الفكرة الدكتور صابر عبدالدايم فى كتابه (موسيقى الشعر العربى بين الثبات والتطور) إذ يقول :-

((لقد كان وراء ذلك طبيعة اللغة والتراث ونفسية الإنسان العربى وتكرار المنظر من حوله ، بالإضافة إلى ظواهر الحداء والغناء والترتيل والتجويد والسماع ، والعلاقة بين المشاعر والأحاسيس التى تصبغ النص الشعرى بصبغة الصدق الفنى ، وبين موسيقاه علاقة عضوية تجعل من النص صورة فنية متماسكة ، فالشاعر البارع يمكنه أن يستغل الدفقات الموسيقية لتتناسق وتتموسق فى نفس الوقت ذاته بما يصوره أو يعبر عنه من إحساس مرتجف راعش ، أو نظرة متأنية متأملة مستغرقة ، ويستطيع التلوين الموسيقى أن يلائم بين هذه المواقف)) [1] .

(١) موسيقى الشعر العربى بين الثبات والتطور – د. صابر عبدالدايم طـ الخانجى بالقاهرة صـ١٩-٢٠ .

وفى النهاية يقول الدكتور إبراهيم أنيس فى هذه القضية :-

((على ؟أننا نستطيع ونحن مطمئنون أن نقرر أن الشاعر فى حالة اليأس والجزع يثير عادة وزناً طويلاً كثير المقاطع ، يصب فيه من أشجانه وأحزانه ما ينفس عنه حزنه وجزعه ، فإذا قيل الشعر وقت المصيبة والهلع تأثر بالإنفعال النفسى ، وتطلب بحراً قصيرا يتلائم وسرعة التنفس وإزدياد النبضات القلبية)) [1] .

والدكتور صابر عبدالدايم يدرك هذه المفاهيم جيداً لذلك وجدناه يختار أبحره وأوزانه تبعا لأغراضه سواء ذلك فى الشعر العمودى عنده أم فى شعر التفعيلة لأن البحر هو القالب الذى يصب الشاعر فيه تجربته ويستوعب موضوعه وأول ما يطالعنا من قصائد هذا البحث قصيدة بعنوان مدائن الفجر والتى مطلعها :-

معلق بين تاريخى وأحلامى ∴ وواقعى خنجر فى صدر أيامى

وقد جاءت على وزن بحر البسيط وطبيعة هذا البحر الإيقاعية تتفق مع الشجن والتذكر والحنين وهذه القصيدة توحى بما آل إليه حال العواصم العربية من ليل قد أطبق عليها بظلمته ومع ذلك فالشاعر آمل فى غدٍ مشرق بسَّام يهل بنوره فيبدد ظلمتها اسمع إليه إذ يقول :-

فأورقت بالمنايا الحمر ساحتنا ∴ ولونت بدماء الحر أعلامى
وشوهت أوجه الأطفال ياوطنى ∴ والموت طارد أطفالا بأرحام
فهل نعود كما كنا بنى رحم ∴ نقضى على هاتف فى النفس قتّام؟

****

وقد اختار الشاعر لتجربته بحر البسيط لأنه من الأبحر الطويلة حيث يسعفه بنغم حزين مستطيل يستطيع أن ينفس فيه أحزانه وأشجانه على ما أصاب أمة العرب .

---

(١) موسيقى الشعر د.إبراهيم أنيس ص١٧٥ مكتبة الأنجلو ط٣ سنة ١٩٦٥م .

والقصيدة الثانية فى هذا البحث بعنوان غابة النار والتى مطلعها:

حديقة النور أمست غابة النار ∴ لا ظل فيها ولا أطلال قيثار

وقد جاءت هذه القصيدة على بحر البسيط أيضا وطبيعة هذا البحر أيضا متفقه مع فكرة وموضوع القصيدة حيث أن الشاعر حزين يأسى على ما آل إليه حال عاصمة الحضارة العربية والإسلامية بغداد فاختار لها هذا البحر ليكون أكثر تمشيا مع فكرته وغرضه الشعرى وهى أشبه ما تكون برثاء الممالك الزائلة والرثاء يغلب فيه اختيار الأبحر الطويلة والبسيط أحد هذه الأبحر لنقرأ منها هذه الأبيات :-

حديقة النور أمست غابة النار ∴ لا ظل فيها ولا أطلال قيثار
شمس الحضارة فى أرجائها انطفأت ∴ وقصة البعث عادت بوح تذكار
أين الرشيد..وسيف العدل فى يده ∴ يرد (نقفور) عن أهلى وعن دارى ؟؟
أن المنارات والمأمون يشعلها ∴ فكراً يفيض بجناتٍ وأنهار

****

وفى مبحث العروبة والإسلام جاءت القصيدة الثالثة بعنوان ((السفينة والطوفان)) والتى مطلعها :-

واصلى السير ياسفينة نوح ∴ إن ربّانك الذى غاب حى

فقد اختار لها الشاعر الخفيف وهذا البحر يقول عنه العرضيون أنه سمى بهذا الاسم لأنه أخف السباعيات ، وموسيقاه تتسم بالخفة والسهولة ، ((وهو ساطع النغم بارز الموسيقى ثم إنه صالح للحوار بقال وقلت ، ويصلح للجدل والترديد والسرد ، ويمتلىء بالروح الملحمى وقال عنه حازم القرطاجنى أن له جزالة ورشاقة)) [1] .

فالشاعر هنا يُحيى الأمل فى نفوس الأمة العربية فيناديها رامزاً لها بالسفينة والأمل يوحى بالحيوية والنشاط بعد اليأس والركون إلى واقع مرٍّ مؤلم وبحر الخفيف فيه خفة ورشاقة تتناسب مع جو النص

(١) دراسات فى النص الشعرى د.عبده بدوى صـ١٦٥ دار الرفاعى الرياض سنة ١٩٨٤ ط٢ .

وفكرته لذلك كان اختيار الشاعر له اختياراً موفقا لتلتقى موسيقية البحر مع موسيقة الأمل فى غدٍ مشرق فينتج لنا عمل ابداعى فيه صدق شعرى وشعورى.

وفى البمحث الرابع شعر الإسلام فى مدائن الفجر نبد النص الأول بعنوان ((نقوش على جدران المسجد الأقصى والذى مطلعه :-

يا قدس طير البغى فيك يحلق ∴ والمسجد الأقصى يدك ويحرق

نجد الشاعر قد اختار له بحر الكامل الذى تفاعيله على

متفاعلن متفاعلن متفاعلن ∴ متفاعلن متفاعلن متفاعلن

وسمى هذا البحر بهذا الاسم لأنه كما يقول الخليل بن أحمد لأنه قد اجتمع فيه ثلاثين حركة لم تجتمع فى بحر غيره

وهو بحر يستوعب آهات وأحزان وآلام الشاعر الذى إكتوى قلبه بنيران أحرقت القدس بأقصاها وهدمت منابره ، لذلك وجدنا الشاعر مكلوم استمع إليه وهو يقول من هذه القصيدة :-

ياقدس طير البغى فيك يحلق ∴ والمسجد الأقصى يُدك ويُحرك
الغاصبون زمان أمنك ما دروا ∴ أن الحجارة فى اشتعالم فيلق
والمسجد الأقصى يقاوم كيدهم ∴ وبه إلى فجر الأمان تشوق
فالثأر يزحف فى انتفاضة أمتى ∴ وبعزمه الأحرار قلبى يشهق

والقصيدة الثانية فى هذا المبحث بعنوان ((وا إسلاماه)) والتى مطلعها :-

الضوء حروف ∴ تنسجها هالات قدسية

وهذه القصيدة قد اختار لها الشاعر بحر عروضيا يتناسب مع سرعة حركتها وهو بحر المتدارك ذا الموسيقى الوائبة التى تتناسب مع سرعة الايقاع فى هذا العصر وهى أيضا انعكاس لشدة الانفعالات وتأجج العاطفة وتوقدها ويؤكد هذا ما جاء فى اختيار هذا البحر لهذه التجربة الابداعية الأكثر تماسكا وتموسقا مع هذا البحر

وتفعيلات هذا البحر هى :-

فاعلن فاعلن فاعلن ∴ فاعلن فاعلن فاعلن فاعلن

ومن أبيات هذه القصيدة ما يلى :-

الكل يقول أنا حق ... وعلى حق ∴ والحق لديهم غيمات صيفية
والضوء الفرس الراكض ∴ فى زمن الومضات الروحية
نفتال صداه ونبكى ∴ نضحك نرحل من غير هوية
والأفق براكين تلقف ∴ ما نأفك من حيل ثعبانية
والليل بكل شواطئنا ∴ يزرع ألغامًا عصرية

إذن بحر المتدارك يصلح قالبا شعريا لشدة الانفعال وتأجج المشاعر وليس كما قيل عنه أنه يتميز بخفته وسرعة تلاحق أنغامه وهذه الخفة وتلك السرعة تجعلانه لا يصلح إلا للأغراض الخفيفة الظريفة) [1] .

والقصيدة الثالثة من هذا المبحث بعنوان أعراس الشفق والتى مطلعها :-

مالت إلى الغرب المآذن ∴ ودم الأهلة فى السماء يقيم أعراس الشفق

قد اختار لها الشاعر بحراً عروضيا يتناسب مع جوها العام وفكرتها الخاصة وهو بحر(الكامل) الذى أشرنا إلى تفعيلاته سابقا، وهذه القصيدة تجسد ما يحدث للمسلمين فى بلاد الغرب الغاشم الأثم وهذا البحر يتسع لهذه الجراح الأليمة لتصاغ فى قالبه الذى يعبر الشاعر من خلاله عن مشاعره وأحزانه ، إذن الشاعر قد تفوق على نفسه فى اختيار موسيقاه وأوزانه فى جميع قصائده التى وقع اختيارنا لها لتمثل العروبة والإسلام فى ديوانه .

(١) راجع فى ذلك قضايا الشعر المعاصر – نازك الملائكة صـ١٣٢ ط٥ دار العلم للملايين بيروت سنة ١٩٧٨م .

القافية

إذا كنا فى الصفحات القليلة السابقة قد تحدثنا عن الموسيقى الشعرية المتمثلة فى عنصر الوزن الشعرى أو البحر العروضى بقي لنا أن نتحدث عن القسيم الثانى للموسيقى الشعرية وهو ((القافية)) والقافية عند العروضيين هى :- أخر متحرك بعده ساكنان يختتم بها البيت الشعرى ، ومن هنا فالقافية تشكل عنصراً هاماً من عناصر الايقاع فى الشعر لما تضفيه على التعبير الشعرى من قيم موسيقية نتيجة لتكرار عدة أصوات وحروف فى آواخر الأشطر أو الأبيات من القصيدة ولهذا وجدنا الباحثين وعلى رأسهم الدكتور/ إبراهيم أنيس يؤكد على أهميتها إذ يقول :-

إن (تكرارها هذا يكون جزءاً هاما من الموسيقى الشعرية فهى بمثابة الفواصل الموسيقية يتوقع السامع ترددها ، ويستمتع بمثل هذا التردد الذى يطرق الآذان فى فترات زمنية منتظمة وبعد عدد معين من مقاطع ذات نظام خاص يسمى بالوزن وكذلك فإن إلتزام حركة بعينها قبل الروى مما يكسب القافية نغما وموسيقى) .

وهنا بين الوزن والقافية علاقة متلازمة وهى جزء من موسيقى البيت والقصيدة وليست حلية له يقول الدكتور/ أحمد كشك (إن القافية تاج الإيقاع الشعرى وهى لا تقف من هذا الإيقاع موقف الحلية بل هى جزء لا ينفصل منه ، إذ تمثل قضاياها جزءاً من بنية الوزن الكامل تُفَسَّر من خلاله وتفسره فهما وجهان لعملة واحدة) .

ولما للقافية من هذه الأهمية فى الشعر فلقد وجدنا شاعرنا الدكتور/ صابر عبدالدايم مهتم بها كل الإهتمام لذلك جاءت قوافيه متمكنة فى أماكنها غير قلقة ولا مجلوبه بل جاءت من وحى الفكرة أو الغرض الشعرى (وقد تنبه القدماء إلى أهمية القافية فى الدلالة فاعتبروها خصوصية وميزة تخص العرب وحدهم ، وبهم احتزت

الأمم فى أشعارها ، ونظراً لصلة القافية بالشعر وما تضفيه عليه غدا الكشف عنها كشفاً عن جوهر الشعر وأجمل ما فيه فأشعر بيت تقوله العرب (ما أوله دليل على قافيته) ثم أن هذا التكرار والتوازن الذى يحسه الإنسان فى النص والنفس معاً وبسبب وجودها جعلت القافية أشرف ما فى البيت فاذا كانت حوافر الفرس أوسق ما فيه وعليها اعتماده فالقوافى قوائم الشعر فهى مركزه ونقطة تماسكه ، وعليها جريانه واطراده أى مواقفه ، فإن صحت استقامت جريته وحسنت مواقفه ونهاياته ، ولما كانت تحصينا للبيت ، وتحسينا له من الظاهر والباطن كانت أجل وأغلى ما فى القصيدة ، وبسبب من هذه النظرة المهمه للقافية نبه القدماء إلى ضرورة تهذيبها وإحلالها مكانها المناسب فى البيت فتأخذ مركزها ونصابها وتتصل بشكلها ، ولا تكون قلقة فى مكانها فتكره على اغتصاب الأماكن والنزول فى غير أوطانها ، وبحكم أن القافية جزء لا يتجزأ من المعنى فأنه ينبغى أن تكون متممه له فتأتى – كالموعود المنتظر يتشوقها المعنى بحقه ، واللفظ بقسطه وإلا كانت قلقه فى مقرها مجتلبه لمستغن عنها) [1] .

من خلال هذا نريد أن نطرح سؤالاً وهو :-

هل القافية عند صابر عبدالدايم احتلت هذه المكانه من شعره أم لا ؟

لقد عنى الشاعر بقوافيه عناية فائقة فجاءت مستقرة غير قلقة مما ساعد على موسيقيتها فى البيت الشعرى والقصيدة بأسرها فلقد كان يختار قوافيه بما يناسب الموقف الشعرى لتتسق وتتموسق مع الوزن الشعرى وكذلك مع حروفه وكلماته وتراكيبه التى ساعدت بموسيقيتها على موسيقية العمل الأدبى بأكمله .

---

(١) موسيقى الشعر العربى بين الثبات والتطور د.صابر عبدالدايم صـ ١٥١- ١٥٢ .

فلو عمدنا إلى أحد قصائده التى قامت عليها الدراسة لنطبق ما سلف ذكره عليها وهى قصيدة بعنوان :- (مدائن الفجر) التى جاءت ميمية الروى والروى والحرف الذى تبنى عليه القصيدة وتنسب إليه فيقال قصيدة ميمية إذا كان رويها (ميما) ولا يجوز تغير هذا الحرف وغير متسامح فى إيراد ما يقابله معه . وسر تسمية هذا الحرف بالروى نجد من يفسره بأنه سمي رويا أخذا من الرويَّه وهى الفكرة لأن الشاعر يرويِّه ويدل ذلك على التأنى والتفكر والتدقيق فى إختيار الحرف المناسب والحرص على تكراره بعينه فى كل أبيات القصيدة ، وقيل هو مأخوذ من الرُّواء وهو الحبل الذى يضم شيئا إلى شيئ فكأن الرويَّ شدَّ أجزاء البيت ووصل بعضها ببعض ، وقيل هو من قولهم :- للرجل رواء أى منظر حسن فسمى رويًا لأن به عصمة الأبيات وتماسكها ، ولولا مكانه لتفرقت عصبا ولم يتصل شعراً واحدا) [1] .

وميمة الدكتور صابر ذاته بنية إيقاعية ترابطت عناصرها وانسجمت فأنتجت لنا عملا إبداعيا فريدا .

ثم اختيار الشاعر لحرف المد (الألف) ليكون ردفا لقصيدته ساعد على موسيقية القافية كما عمل على وضوح المعنى وإثراء الفكرة فالمطلع يقول فيه :-

معلق بين تاريخى وأحلامى .:. وواقعى خنجر فى صدرى أيامى

اختار لها الشاعر بحر(البسيط) وزنا واختار الميم لها قافية ورويا واختار لها ألف المد ردفا وموضوعها مدائن الفجر تخيلا وأملا فى واقع صادم بصخوره المؤلمه معددا أسباب إيلامه من واقع كأنه خنجر فى صدر أيامه وآماله غير المحققه وخيله وعُدده وعتاده

---

(١) القافية تاج الايقاع الشعرى د.أحمد كشك صـ٥٤ ، وراجع فى ذلك موسيقى الشعر العربى بين النظرية والتطبيق الدكتور بدر الدين سليمان .

التى لم تؤد ما عليها وما يطلب منها ، فاختياره للميم المكسورة دليل على ما آل إليه حال الأمة من ذل وانكسار وردفها بالألف الممدودة وكأنها نهاية الشجن والحزن الماثل فى حروف وكلمات القصيدة وقافيتها لنستمع إليه وهو يقول :-

تناثرت فى شعاب الحلم أوردتى ∴ وفى دمانى نمت أشجار أوهامى
مدائن الفجر لم تفتح لقافلتى ∴ والخيل والليل والبيداء قدامى
والسيف والرمح فى كفىّ من زمن ∴ لكننى لم أغادر وقع أقدامى
أدور منقسما فى غير دائرتى ∴ ولست أبصر إلا ظل آلامى
ودورة الزمن المنكوب تلقفنى ∴ وإننى فى دجاها بعض أرقامى
الأربعون توافينى وما بلغت ∴ رؤاى مشرق أسفارى وأحلامى

نجد الشاعر فى هذه الأبيات يلح إلحاحاً شديداً ويتكىء على ألفاظ بعينها شكلت معجمه الشعرى من مثل : تناثرت ، أنقاض ، أوردتى ، شعاب ، وأوهامى ، ظل آلامى ، الزمن المنكوب ، دجاها .

وعلى مدار القصيدة وقد سبق تحليلها فى موضعه من البحث لا نجد لفظه مستجلبه ولا قلقة أو فى غير موضعها ولا قافية نابية بل تعانقت الحروف والكلمات والتراكيب والوزن والقافية وحركتها وردفها على أداء المعنى أو الفكرة فى ثوب موسيقى رائق .

وبعد

وفى النهاية لا يسعنى إلا أن أقرر أن الشاعر الدكتور/ صابر عبدالدايم قد ملك زمام الشعر بحق نظما ونقدا فهو شاعر النقاد وناقد الشعراء ومن هنا فهو شاعر العروبة والإسلام معاً وصاحب القومية العربية والإسلامية التى لا تعترف بالحدود المصطنعة .

والحمدلله أولاً آخراً

أهم المراجع

١ – القرآن الكريم .

٢ – أبعاد التجربة الشعرية فى شعر د/صابر عبدالدايم د/صادق على حبيب .

٣ – أدب ما قبل الإسلام د. محمد عثمان على .

٤ – أنا والشعر شفيق جبرى ــ المطبعة الكمالية سنة ١٩٥٩م .

٥ – الورد والهالوك د. حلمى محمد القاعود .

٦ – الرثاء من سلسلة فنون الأدب العربى د. شوقى ضيف ط دار المعارف .

٧ – الجارم فى ضمير التاريخ د. أحمد على الجارم ــ الطبعة الأولى سنة ١٩٩٤م .

٨ – الشعر العربى الحديث فى مأساة فلسطين ــ كامل السوافيرى .

٩ – العصر العباسى الأول ــ د. شوقى ضيف ــ طبعة دار المعارف .

١٠ – الغمرى فى الآداب السلطانية والدول الإسلامية .

١١ – الأسلوب أحمد الشايب المطبعة الفاروقية الإسكندرية ١٩٣٩م .

١٢ – الاتجاه الوجدانى فى الشعر العربى المعاصر ط٢ دار النهضة العربية بيروت سنة ١٩٨١م .

١٣ – الصورة والبناء الشعرى د/ محمد حسن عبدالله .

١٤ – الشعر والشعراء ــ ابن قتيبة ــ تحقيق أحمد محمد شاكر ــ دار التراث العربى ط٣ سنة ١٩٧٧م .

١٥ – الصناعتين ــ أبوهلال العسكرى ــ تحقيق على محمد البيجاوى، محمد أبى الفضل إبراهيم . القاهرة ١٩٥٢م .

١٦ – القافية تاج الإيقاع الشعرى د. أحمد كشك ــ المكتبة الفيصلية ــ مكة المكرمة سنة ١٤٠٥هـ ــ ١٩٨٥م .

١٧ – تاريخ الطبرى الجزء السادس ــ دار القاموس الحديث للطباعة والنشر ــ بيروت .

١٨ – دراسات فى النص الشعرى د. عبده بدوى ــ دار الرفاعى ــ الرياض سنة ١٩٨٤م .

١٩ – عن بناء القصيدة العربية الحديثة د/ على عشرى زايد ــ دار المعارف سنة ١٩٦٦م .

٢٠ - عيار الشعر ـ ابن طباطبا ـ تحقيق طه الحاجرى ـ محمد زغلول سلام ـ القاهرة سنة ١٩٥٦م.
٢١ - فن الشعر د.إحسان عباس ـ طبعة بيروت.
٢٢ - فى النقد الأدبى الحديث ـ محمد عبدالسلام صقر .
٢٣ - فى النقد الأدبى ـ د. شوقى ضيف دار المعارف.
٢٤ - فى الأدب العربى المعاصر ـ القسم الثانى د/ إبراهيم عوضين.
٢٥ - قراءة نقدية فى ديوان مدائن الفجر د. محمد شلال الحناحنة.
٢٦ - قضايا الشعر المعاصر ـ نازك الملائكة طه ـ دار العلم للملايين ـ بيروت ١٩٧٨م.
٢٧ - مجلة الرسالة عدد ٤٢٧ سبتمبر سنة ١٩٤١م.
٢٨ - مجلة الرسالة عدد١٠٤٣ للسنة٢١ الخميس ٩ يناير ١٩٦٤م.
٢٩ - مجلة كلية اللغة العربية بالزقازيق العدد العاشر ١٤١٠هـ-١٩٩٠م.
٣٠ - مروج الذهب للمسعودى تحقيق/ محمد محيى‌الدين عبدالحميد ـ دار المعرفة ـ بيروت ـ لبنان.
٣١ - موسيقى الشعر د.إبراهيم أنيس مكتبة الأنجلو المصرية١٩٧٨م.
٣٢ - موسيقى الشعر العربى بين الثبات والتطور ـ د. صابر عبدالدايم ـ مطبعة الخانجى ـ القاهرة سنة ١٩٩٣م.
٣٣ - موسيقى الشعر العربى ـ شكرى عياد ط٢ دار المعرفة١٩٧٨م.
٣٤ - موسيقى الشعر العربى‌بين النظرية والتطبيق د.بدرالدين‌سليمان.
٣٥ - نفحة ذكية من نصوص عباسية د.بدر الدين سليمان.

الدواوين

١ - ديوان نبضات قلبين ـ د. صابر عبدالدايم.
٢ - ديوان الجارم ـ طبعة دار الشروق.
٣ - ديوان المسافر فى سنبلات الزمن د. صابر عبدالدايم دار الأمانة القاهرة ١٩٨٢م.
٤ - ديوان المرايا وزهرة النار د. صابر عبدالدايم .
٥ - ديوان مدائن الفجر د. صابر عبدالدايم.